كيف تقوم الفلسفة الإسلامية على الكتاب والسنة في :

فَلْسَفَةُ الإِنْذَار

دكتور
يحيى هاشم حسن فرغل
رئيس قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٠٥ — ١٩٨٤

بحث مقدم لمؤتمر السيرة النبوية الثالث

لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر

بســـم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) .

« ١ ــ الفرقان »

صـــــدق الله العظيم

[illegible]

([illegible])

في اللغة — ٢ »

[illegible]

يقصد بالفلسفة الاسلامية عند مؤرخى الفلسفة : الانتاج الفلسفى لأعلام من الفلاسفة الذين ظهروا فى الحضارة الاسلامية ، وأشهرهم الكندى (أبو يوسف بن اسحاق الكندى ١٨٥ ــ ٢٦٠ هـ).

والفارابي (أبو النصر محمد بن محمد طرخان المعروف بالفارابى ٢٥٩ هـ ٣٣٩هـ .

وابن سينا (أبو على حسين بن عبد الله بن سينا ٣٧٠ هـ ٤٢٨هـ) وابن طفيل (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل ت ٥٨٠ هـ) وابن رشد (أبو الوليد محمد بن محمود المعروف بابن رشد ٥٩٥ هـ) .

أما الامام الغزالى (ت ٥٠١ هـ) فيذكر بين فلاسفة الاسلام على نحو خاص ، ذلك أنه كان له النصيب الأوفر فى العمل على هدم ما يسمى « الفلسفة الاسلامية » ، وكتابه المشهور « تهافت الفلاسفة » لا يخفى ذكره ، الا أنه ــ أى الامام الغزالي ــ استعمل الفلسفة فى هدم الفلسفة ، فهو عدو للفلسفة من حيث الغرض والغاية ، وهو « فيلسوف » من حيث الأداة والوسيلة .

كذلك يحسب (علم الكلام) من الفلسفة الاسلامية ، عند كثير من مؤرخى الفلسفة الاسلامية ، وهو علم يبحث فى العقائد الاسلامية المأخوذة من الكتاب والسنة لاثباتها والدفاع عنها بالحجج العقلية .

وقد يرى بعض المؤرخين أن الفلسفة لا تقوم ــ أولا ينبغى أن تقوم الا على « البحث العقلى الحر » ، وعلى هذا الأساس يستبعدون « علم الكلام » من الفلسفة الاسلامية ، لأنه يقيد نفسه منذ البداية بالعقائد المأخوذة من القرآن والسنة .

لكن يرد على هؤلاء بأن الفيلسوف لا يمكن بمقتضى بشريته أن يكون حرا حرية كاملة في بحثه الفلسفي ، فهو مهما يدعي لنفسه الحرية تجده يخضع لعوامل مختلفة تفرضها عليه شخصيته ومزاجه وبيئته الثقافية وبيئته الإجتماعية ، وبيئته الطبيعية ، وفي هذا يقول وليم جيمس في كتابه ارادة الاعتقاد (يكاد المرء لا يصدق أن المشتغلين بالفلسفة أو من يعتبرون فلاسفة يدعون أن أي فلسفة يمكن أن تكون بناء يتم دون الاستعانة بأي اختيار شخصي أو اعتقاد ذاتي) وهو يرى أن الخلاف بين العقليين والتجريبيين — مثلا — انما هو صدام بين مزاجين أكثر منه صداما بين حقيقتين تنفي احداهما الأخرى .

ونحن نذهب الى أن الفيلسوف لا يمكنه التخلص من عوامل التأثير تخلصا تاما ، ومن هنا نذهب الي أن علم الكلام أقرب الى التعبير عن الاسلام مما يدعى بالفلسفة الاسلامية لأنه يرتبط بالمعتقدات الاسلامية ارتباطا أساسا ، ويلتزم التعبير عنها وان لم يوفق الى ذلك منهجيا ، بينما ترتبط الفلسفة الاسلامية عند الفارابي وابن سينا وابن رشد أشد ما ترتبط بالفلسفة اليونانية عند أفلاطون وأرسطو ، وبالفلسفة الهيلينية في الأفلاطونية الجديثة ، ونرى أن هذه الفلسفة عند ابن سينا ومن حوله ، ليست أكثر من نسخة منقحة ومزيدة من الفلسفة اليونانية والهيلينية وان الجهد الأكبر لما يتسمى بالفلسفة الاسلامية عند الفارابي وابن سينا انما هو في محاولة التوفيق بين الإسلام وبين الفلسفة اليونانية .

الفكر الاسلامي بين الفلسفة والكتاب والسنة :

ونحن اذا أردنا أن نوضح موقف الفكر الاسلامي بين الفلسفة من ناحية والقرآن والسنة من ناحية أخرى ، فاننا يمكن أن نسوق

ذلك وفقا لخط بيانى له طرفان أحدهما على أقصى اليمين يرمز الى القرآن والسنة ، والثانى على أقصى اليسـار يرمز الي الفلسفة اليونانية ، ثم نضع على هذا الخط مدارس الفكر الاسلامى من حيث قربها من هذا الطرف أو ذاك .

فنضع فى أقرب نقطة مجاورة للقرآن والسنة الصحابة والتابعين ثم أئمة الحديث ، ثم أئمة الفقه ، ثم أئمة علم الكلام : الأشاعرة والماتريدية ، ثم المعتزلة ، ثم الفلاسفة : الكندى ، والفارابى ، وابن سينا وابن رشد .

وعلى هذا الأساس يتبين أيضا : أى هذه المدارس أشد قربا للفلسفة اليونانية ، والتصاقا بها ، وأيها أكثر تحررا منها وأقرب الى النبع الصافى فى القرآن والسنة .

ويخلص لنا من هذه المدارس مجموعتان متمايزتان :

مجموعة الايمان بالعقل ، وهم من يدعون فلاسفة الاسلام ، وعلماء الكلام .

ومجموعة الايمان بالنص وهم الصحابة والتابعون وأئمة الحديث وأئمة الفقه .

ولا يعنى هذا أن المجموعة الأولى « مجموعة الايمان بالعقل » لا تؤمن بالنص « القرآن والسنة » كلا ، فهم يؤمنون به ، والا لما جاز حسبانهم فى دائرة الفكر الاسلامى .

كذلك فان التقسيم الذى ذكرناه لا يعنى ان المجموعة الثانية « مجموعة الايمان بالنص » لا تؤمن بالعقل ، فهم يؤمنون به ويرونه مدار التكليف الشرعى وفقا لما جاء به الامر فى القرآن والسنة .

انما المراد أن مجموعة الايمان بالنص ترى أن النص هو الأساس فى معرفة الحقيقة ، ودور العقل مقصور على الفهم والتلقى والاستيعاب لما جاء فى النص ، فلا قدرة للعقل على الوصول الى المعرفة الا فى ضوء النص ، والعقل دوره هنا اشبه بدور البصر بالنسبة لضوء الشمس ، ان البصر لا يضىء ولا يكشف ، وانما هو ينتظر ضوء الوحى ليكشف له ، فعندئذ يرى العقل فى ضوء النص ، وتصبح مهمة العقل هنا الفهم والاستيعاب لا غير ، فاذا تعارض النص والعقل فى هذه الحالة رجع أهل النص باتهامهم الى العقل ، وحكموا بعجزه أو توقفه عن الفهم .

أما مجموعة الايمان بالعقل فانهم يرون أن العقل المستقل هو الأساس فى معرفة الحقيقة ، وانه يمكنه ـ أى العقل ـ أن يتوصل بنفسه مستقلا الى معرفتها والكشف عنها والحكم بها ، ودور النص هنا مقصور على تنبيه العقول من غفلتها ، أو تقريب الحقائق الى أذهان العوام ، فالعقل عندهم لا يقتصر على مجرد الفهم والتلقى والاستيعاب لما جاء فى النص وانما هو يقوم بدور أعلى وأكبر ، انه يقوم بدور المضىء الأصيل ، والكاشف الحقيقى لدروب المعرفة ، والناقد البصير ، والقاضى الحكم ، فإذا تعارض النص والعقل فى هذه الحالة فإنهم لا يرجعون الى العقل بالاتهام ، وانما يحكمون على النص بأن المراد منه شىء غير ما يظهر عليه ، فيذهبون الى تأويله تأويلا قريبا أو بعيدا ، متفقا مع قواعد التفسير واللغة أو غير متفق وهم درجات فى هذا التأويل ، فالفلاسفة أشد مغالاة فى التأويل ، بل يذهبون الى حد لا يمكن حسبانه فى دائرة التأويل ، والمعتزلة أقل من أولئك تأويلا ، والأشاعرة أكثرهم اقتصادا فى التأويل .

ومهما يكن من أمر فان المعتزلة من المتكلمين كانوا يذهبون الى أن معرفة الله تعالى لا تكون بالدليل النقلى ، وانما تكون بالدليل

العقلى المستقل ، وهم قد بينوا الميادين التى يجب أن يخوضها العقل مستقلا وهى معرفة الله بتوحيده وعدله ، وما ينبغى لذلك من معرفة بالعالم ، ثم ما يتصل به من معرفة لحقيقة المعجزة ودلالتها ، وهذه المباحث جميعا هى التى تمهد لتلقى السمعيات من الرسول ، على ان تشترك فيها — أى هذه السمعيات — الدلالتان العقلية والنقلية معا .

وأئمة الأشاعرة — وبخاصة المتأخرين منهم الذين يمثلون عصر نضج علم الكلام ، كانوا يذهبون أيضا الى ان العقل ينبغى ان يستقل بمعرفة مسائل الطبيعيات والالهيات وما يتصل بذلك من مسائل « المعجزة » .

وأما بقية المسائل فإنه مع أن العلم بها يتوقف على السمع فإن للعقل فيها دورا حاسما ، لأنها لا تصح الا اذا كانت مما يجوزا العقل وقوعه ، يقول الإيجى صاحب كتاب المواقف (ودلائله — أى علم الكلام — يقينيه يحكم بها صريح العقل وقد تأيدت بالنقل) ، فبصريح العقل يتم الحكم ، وبالنقل يحصل التأييد ، مجرد التأييد .

فشل الفلسفة النظرية :

فالمتكلمون عامة يزعمون أن الطريق الوحيد الذى يصح الأعتماد عليه فى معرفة صدق الرسول هو (المعجزة) باعتبار أنها تدل على ذلكدلالة عقلية •

وقد جاء موقفهم هذا متسقا مع رأيهم فى أن الطريق الوحيد الذى يصح الاعتماد عليه فى معرفة الله هو (العقل) النظرى •

وجاء موقفهم هذا ايضا متفرعا عن رأيهم فى ان (العقـــل) النظرى هو الاساس الذى يصـــح الاعتماد عليه فى الوصـــول الى المعرفة •

وقد بينا باستفاضة فى غير هذا الموضع ان العقـــل النظرى (المستقل) لا يمكن الاعتماد عليه فى الوصول الى المعرفة (١)•

فلسفة الضرورة العملية :

والحقيقة الكبرى التى اتضحت لنا هى ان الاتجاهات الفكرية البشرية مهما اختلفت ومهما وضعت من شروط ــ على اختلافها ــ للتوصل الى المعرفة فانها تتنازل عن شروطها هذه فى الاسس التى تقوم عليها ، وتؤمن بهذه الاسس ايمانا تسليميا مضطرة الى ذلك بحكم ما نسميه (الضرورة العملية) ••

لقد فعلت ذلك الفلسفة العقلية اليقينية : شددت فى الحصول على الادلة العقيلة لكنها بالنسبة لاصل هذه الادلة وهو العقل آمنت به ايمانا تسليميا أوليا خاضعة فى ذلك لحكم الضرورة العملية •

---

(١) انظــر كتابنـــا (الاسس المنهجية لبنـــاء العقيدة الاسلامية) وكتابنا (فلسفة التسليم) •

وفعلت ذلك الفلسفة اللاأدرية ، شـــــددت فى انكارها للادلة العقلية وفقدت الثقة فى الاساس الذى تقوم عليه ، لكنها اضطرت بعد ذلك الى الاخذ (بالجانب العملى) وآمنت به ايمـــانا تسليميا أوليا خاضعة فى ذلك لحكم (الضرورة العملية) .

وفعلت ذلك الفلسفة التجريبية : شددت فى اشتراط التجربة ، لكنها اضطرت بعد ذلك الى الاخذ ببعض المبادىء التى تقوم عليها التجربة ، دون أن تثبت هذه المبادىء تجريبيا ، ومنها على ســـــبيل المثال مبدأ (سير الطبيعة وفقا لقوانين) ـــ وآمنت بهذه المبـــادىء ايمانا تسليميا اوليا خاضعة فى ذلك لحكم (الضرورة العملية) .

وهنا يحق لنا ان نعلن أن الضرورة العملية هى التى تتجـــاوز الشك فى طريق الوصول الى معرفة الله .

وقد اعترف بذلك اصحاب مذاهب (نقد العقل) انفسهم ابتداء من امبريكوس اشهر الشكاك اليونانيين الى هيوم وكانط ووليم جيمس فى الفلسفة الاوربية الحديثة والمعاصرة .

فالام ينتهى أمر الشاك ؟ انه من الناحية النظرية لا يقرر شيئا ولكنه من الناحية العملية سوف تفجؤه (الضرورة العملية) بصفعة تخرجه من دائرة الشك تماما ، ذلك ان الانسان لا يمكن ان يستمر فى دائرة اللا عمل التى يقتضيها الشك .

انه يخرج من هذه الدائرة اراد أو لم يرد ، بحكم (الضرورة العملية) يخرج من هذه الدائرة الى دائرة عمل هى من شأن الذين لا شك عندهم .

انه اذا جاء خبر الى فيلسوف من فلاسفة الشك بأن مجموعة

من اللصوص تنوى مهاجمة بيته فى هذه الليلة فماذا يكون الموقف فى هذه الحالة ؟ ان المتأكد من صدق هذا الخبر (يعمل) الاتى : يستعد بالسلاح والحراسة ، والمتأكد من كذب هذا الخبر (يعمل) الاتى : ينام مطمئن البال ويترك السلاح ويترك الحراسة . أمـا فيلسوف الشك غير المتأكد من صدق الخبر أو كذبه فانه يطـالب بالدليل لكن الدليل لا يأتيه دون ان يقتنع به ، فمـا هو موقفه عندئذ ؟ أنه من الناحية العملية اذا ترك نفسه للشك سوف (يعمل) عمل المتأكد من كذب الخبر . إنه لا يقف بين بين ، لا بد له من أن يخرج من دائرة (اللا عمل) التى يفرضها عليه شكه الى دائرة (عمل) هو من شأن المتيقن : اى انه بحكم (الضرورة العملية) اراد أو لم يرد يسـلم نفسه لعمل ما . وقد كان يجدر به ان يسلم نفسه للجانب الاحوط .

إنه ما دام لا يستطيع ان يخلص لشكه من الناحية العملية وسوف ينحاز لعمل ما دون ان يستطيع تبرير هذا الانحياز من النـاحية النظرية ، فعليه حينئذ ان يختار الجانب الاحوط وان يسلم نفسه لجانب السلامة وهو جانب الاستعداد للخطر بما يناسبه من العمل .

وهنا يمكن القول بأن الشك قرار من الناحية العملية .

هذا المنطق ينتقل بنا مباشرة الى الدين .

(إنه اذا كان الملحد يخشى الوقوع فى اعتقاد لم يقم عليه دليل يقينى قطعى .. فإن عليه ان يخشى امرا أشد بطشا واشد تنكيلا : هو الوقوع فى عصيان إله لم يقم على نفيه دليل يقينى قطعى) .

(وعلينا أن نذكر الملحد بالموت وبالابدية : ماذا ـ لديه من القول عنهما : هل يقول انه لا يبالى ؟ اليس منتهى الحمـاقة ونحن نعنى اكبر العناية بصغائر الامور الا تثير اهتمامنا المسـألة الكبرى التى يتوقف عليها النعيم الابدى او الشقاء الابدى : هل يقول : ان العقل

يجد ان الدين غير مفهوم : فليكن .. ولكن كيف يستنتج من هذا ان الدين ليس حقا ؟ لنفرض ان الغموض متساو من جهة اثبات الدين ومن جهة نفيه يبقى لن الاختيار بينهما ضروري ... ولنلاحظ ان عدم الاختيار هو فى الحقيقة اختيار للنفى وهو اختيار محض للجهدالأشد خطرا ..)

فاللامبالاه بالعواقب هى جوهر الموقف الالحـــادى .. وهى جوهر الجريمة بوجه عام .

يقول تعالى : (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) ، ٧٥ ــ يونس .

ولهذه اللامبالاة دوافعها النفسية والاجتماعية : الكبر والوضع الاجتماعى (قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين) ٧٨ ــ يونس .

واذن فأعتى انواع الالحاد لا تتجاوز مستوى الشك ، والشاك ــ حتى فى وضع اللامبالاه ــ يعمل عمل من يتخذ قرارا ، اراد ذلك بوعى أو تورط فيه بغير وعى ..

والذى يضعه فى هذا المأزق العملى : هو الانذار .. الانذار باليوم الاخر وهذا ما نزيده بيانا فى الصفحات التالية .

المنطق العملى (الانذار) فى سير الانبياء السابقين

ان الانذار باليوم الآخر هو (المنطق العملى) القـــائم على (الضرورة ــ العملية) وهو الذى يقودنا الى الايمان بالله والتصديق بالرسول •

وهذا المنطق نفسه هو الذى يقودنا مباشرة الى صميم الفلسفة الاسلامية العملية •

لانه هو المنطق الذى تدلنا السـيرة النبوية على اســتعمال الرسول اياه : فى سير الانبياء السابقين وسيرة سـيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ على السواء • ففى سيرة سيدنا نوح :

جاء قوله تعالى (ولقد أرسـلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لا تعبـدوا الا الله انى اخـاف عليكم عذاب يـوم اليم) ٢٥ ــ هود •

ثم يقول سيدنا نوح (قال رب ان قومى كذبون ، فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين)١١٧ ، ١١٨ سورة الشعراء•

ويربط القرآن هذا الانذار بشـــقيه : دنيويا فى الطوفان ، واخرويا فى النار بقوله تعالى (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية ، فاذا نفخ فى الصور نفخـة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحـدة فيومئذ وقعت الواقعة) ••

وفى سيرة سيدنا هود يقول تعالى (واذكر اخـا عاد اذ انذر

قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ٢١ ـ الشعراء .

ويقول لهم سيدنا هود (أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح امين أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجـل منكم لينذركم) ٦٨ ـ ٦٩ ـ الاعراف .

ولكن قومه يقولون متحدين :

(اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) .

ثم قالوا له (سواء علينا أو عظت ام لم تكن من الواعظين ، ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين).

وعندئذ حق عليهم القول فى قوله تعالى (فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) ٧٢ ـ الاعراف .

ثم يربط القرآن هذا الانذار الدنيوى بالانذار الاخروى اذ يقول تعالى (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيـاة الدنيا ولعذاب الاخـرة اخزى وهم لا ينصرون) ١٦ ـ فصلت .

وفى سيرة سيدنا صالح جاء قوله تعالى :

(كذبت ثمود بالنذر ، فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر) ٢٠ ـ ٢٦ ـ القمر .

ويضع القرآن امامهم نذيرا دنيويا بموازاة النذير الاخروى (هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم) ••

ولكنهم كذبوه وتحدوه : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهـم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبه مكرهم انا دمرناهم وقومهـم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لاية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) ٥٠/٥٣ ــ النمل •

ويبدو منطق الانذار واضحا ايضا فى سيرة سيدنا ابراهيم اذ يقول لقومه كختام حاسم لجدل عقيم • (وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شـيئا وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكرون وكيف أخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون) •

ويعقب القرآن على هذا الانذار بانه هو الحجة العمليـة ، أو المنطق العملى • وذلك اذ يقول تعالى (وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشـاء ان ربك حكيم عليم) ٨٠/٨٣ الانعام ••

ولعل الانذار الدنيوى الموازى للاخروى قد جاء فى سـيرة ابراهيم عليه السلام فى صورة معكوسة ولها نفس الدلالة : أن الخطر قادم ، وأن النجاة منه بيد الله وأقصد بالصورة المعكوسة أن الانذار الدنيوى توجه هنا الى ابراهيم من قومه اذ نادوا بالقائه فى النـار (حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتـم فاعلين) • فكان الرد الالهى : (قلنا يا نار كونى بردا وسـلاما على ابراهيم وارادوا به كيـدا فجعلناهم الأخسرين) ٦٨/٧٠ ــ الانبياء •

وفى سيرة سيدنا لوط تأتى الاشـــارة الى الانذار فى قوله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهـــم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صحبهم بكرة عذاب مستقر) •• ثم يأتى قولهم لـــه (•• ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصـــادقين) ثم يأتى وعد الله (فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهـــم حجارة من سجيل ، ان فى ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم) ٧٣/٧٦ ـ الحجر •

وفى سيرة سيدنا شعيب جاءت الاشارة الى الانذار فى قوله لهم (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيـــد) ٨٩ ـ هود •

فكذبوه وتحدوه قائلين (وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى اعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيـــم ان فى ذلك لآية ومـــا كان اكثرهم مؤمنين) ١٨٦/١٩٠ ـ الشعراء •

يقول تعالى على لسان سيدنا شـــعيب (ويقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل ، سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخـــزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب •• ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصـــيحة فى ديارهـــم جاثمين) ٩٢/٩٤ ـ هود •

وفى سيرة سيدنا موسى يأتى قوله لفرعون (أنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى) ٤٨ ـ طه •

ويأتى قوله تعالى شـــارحا للمنطق العملى فى الانذار (وقال

رجل مؤمن من آل فرعون اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب •• ياقوم لكم الملك اليــوم ظاهرين فى الارض فمن ينصـــرنا من بأس الله ان جاءنا ••) ثم يقول (وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهــم وما الله يريد ظلما للعبـــاد) ثم يقول (ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لاجرم ان ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة وان المسرفين هــم اصحاب النـــار فستذكرون مـــا اقول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون ســوء العذاب) ٤١/٤٥ ــ غافر •

وفى الربط بين الإنذارين جاء قوله تعالى فى سيرة موسى عليه السلام :

(ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهـــم يذكرون) •

وجاء قوله تعالى (وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) •

وحينئذ قالوا (ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنـــا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) ١٣٤ ــ الأعراف •

ويقول تعالي (فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ومـــا

نريهم من آية الا هى اكبر من اختها وأخذناهم بالعذاب لعلهـــم يرجعون) ٤٧/٤٨ الزخرف •

وفى قصة موسى تظهر (فلسفة الواقعة) فى ان الوقاية منها تكون بالخشية لا بالتحقق وذلك اذ يقول تعالى (الئن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليــوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) ٩١/٩٢ يونس •

وفى سيرة سيدنا داوود يأتى قوله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بمـا نسوا يوم الحساب) • ٢٦ ـ ص

وفى سيرة سيدنا عيسى يأتى قوله تعالى عندما طلب الحواريون انزال مائدة من السماء (قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعـد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) ١١٥ ــ المائدة •

ويأتى قوله تعالى (لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبـــادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا) ١٧٢ ــ النساء

المنطق العملى (الانذار) فى سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

عندما استعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للدعوة الى الاسلام فبماذا اخذ يستعد ؟

بالذهاب الى الكتب ؟ والاغراق فى التأمل النظرى ؟ وفتح الفصول للدراسة النظرية المجردة ؟ وقد كان الله وما زال قادرا على تهيئة الظروف لذلك لو كان هذا هو الطريق ؟ كلا •• وانما اخذ يستعد لذلك على النحو (العملى) الذى امر به فى قوله تعالى (يا أيها المدثر قم فانذر) وعندئذ قام الرسول صلى الله عليه وسلم على (الصفا) فعلا اعلاها حجرا ثم نادى (يا صبا حاه) فقالوا من هذا ؟ فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا اليه فقال لهم أرأيتم ان ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى ؟

قالوا : ماجربنا عليك كذبا •

فقال : يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فانى لا اغنى عنكم من الله شيئا •

وفى حديث آخر انه قال لهم : مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل جاء قومه فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى انى انا النذير العريان • فصدقته طائفة فنجا ونجوا على مهلهم وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم •

وفى حديث اخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه (انى لاخذ بحجزكم ان تتساقطوا فى النار) •

وفى قضية الانذار والعمل لمـا بعد الموت يخـاطب الرسول الانسانية جمعاء خطابا عمليا فيقول (الكيس من دان نفسه • وعمل لمـا بعد الموت ــ والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله ••) رواه الترمذى وقال حديث حسن •

ويقرر القرآن مهمة الانذار فى رسالة الرسول فى طائفة كبيرة من الايات بلغت اكثر من مائة وثلاثين موضعا نشير الى بعضها فيما يلى :

(انما أنت نذير والله على كل شىء وكيل) ١٢ ــ هود •
(كلا انها تذكرة •• فمن شاء ذكره) ١١/١٢ •
(سيذكر من يخشى ••) ١٠ ــ الاعلى •
(فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر) ١٠ ــ الغاشية•
(فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) ٤٥ ــ ق
(وما على الرسول الا البلاغ المبين) ٥٤ ــ النور
(وما انت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير) ٢٣ ــ فاطر
(يلقى الروح من امره على من يشـــاء من عباده لينذر يوم التلاق) ١٥ ــ غافر •

(واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) ١٩ ــ الانعام
(هذا بلاغ للناس ولينذروا به ••) ٥٣ ــ ابراهيم
(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعـالمين نذيرا) ١ ــ الفرقان •

(فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) ١٣ ــ فصلت •

(فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشـــقى الذى كذب وتولى) ١٤ ــ الليل •

(كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به) ٢ ــ الاعراف .

(هذا نذير من النذر الاولى) ٥٦ ــ النجم .
(بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) ٣ ــ السجدة .

(لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) ٦ ــ يس
(وان من أمة الا خلا فيها نذير) ٢٤ ــ فاطر .

وهذا المنطق العملى فى الانذار يتمثل فى قول سيدنا على رضى الله عنه لمن كان يشاغبه فى أمر الاخرة (ان كان الامر كما زعمت تخلصنا جميعا وان كان الأمر كما قلت فقد هلكت ونجوت) .

وهو المنطق العملى الذى يقول فيه ابن العزفى شرحه للعقيدة الطحاوية ، (نعلم انه اذا عرض على أحد ان يصدق وينتفع وان يكذب ويتضرر : مال بفطرته الى ان يصدق وينتفع وحينئذ فالاعتراف بوجوب الصانع والايمان به هو الحق ..) . (١) .

وهو المنطق العملى الذى استنقذ به الشاعر الحائر أبو العلاء المعرى نفسه اذ يقول :

زعم المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الاجساد قلت اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر ... او صح قولى فالخسار عليكما
طهرت ثوبى للصلاه وقبله ... طهر فأين الطهر من جسديكما
وذكرت ربى فى الضمائر مؤنسا ... خلدى بذاك فأوحشا خلديكما

(١) شرح للطحاوية ص ١٦ ، طبعة مطبعة الامتياز .

عنـاصر المنطـق العملي في الانذار

الانذار موقف يتلخص فى كلمتين او ثلاث : خبر عن مجهول ، وتصديق فى جانب ، وتكذيب فى جانب اخر ، ••

هو منطق عملى يركز فيه المنذر الرسول صلى الله عليه وسلم على امرين نمارسهما فى حياتنا العملية ، ولا غنى لاحد مهما يكن موقفه الفلسفى أو التأملى عن الاخذ بهما : اولهما : الاخذ بالاحوط فيما يتضمن الخبر عنه تحذيرا من خطر (محتمل) •

ثانيهما : تصديق خبر عن واقعة نجهلها اذا أتى من (محتمل) صدقه •

وهذا المنطق العملي هو المتمثل فى قوله تعالى ، (وما ذا عليهم لو آمنو بالله واليوم الاخر) ، ومن قبل استعمل رجل مؤمن من آل فرعون هذا الدليل العملى فى جداله مع قومـه (•• وان يك كاذبا فعليه كذبه ، وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) •

ولأن المسألة من ناحية الرسول محض اخبار وانذار : فقد جاء قوله تعالى (ان انت الا نذير) •

وجاء قوله تعالى (وما عليك الا البلاغ) •

وترتيبا على ذلك يمكننا ان نقول بغير مبالغة : ما على المنذر من دليل • والا فقل لى ماذا تفعل اذا أبلغت بانذار وخبىء عنك الدليل ؟

ان سوق المنذر للدليل هو محض تبرع ، او مودة لكنه فى منطق الانذار نفسه غير لازم •

مرة اخرى (ان انت الا نذير) •

وفى الحكمة القديمة (لقد أعذر من انذر) •

ولأن المسألة من ناحية العبد هى محض اختيار ينبغى ان يتجه فيه إلى السلامة جاء قوله تعالى (ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) — ١٠٨ — البقرة ••

ثم جاء قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) ٢١١ — يونس •

ومن هنا كان (المؤمن) اسما للانسان الطالب للأمن وهو لا يكون الا فى الايمان (الامن) بالله •

ولهذا كان المؤمن اسما لله من الجانب الاخر ، اذ هو المؤمن ، اى المعطى للامن ، ولا امن الا فى الركون اليه • •• ولا أمن عند الكافر بأى وجه من الوجوه ، فيقول سبحانه وتعالى عن الناجين من عذاب ذلك اليوم لانهم توقعوه واتقوه : (والذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، ان عذاب ربهم غير مأمون) •

ثم يقول عن الهالكين :

فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) ١ — هـ

والطريق الذى يبعد الانسان عن العذاب مفتوح منذ اليوم •• والانسان مدعو اليه قبل ان تقع الواقعة (ذلك اليوم الحق فمن

شاء اتخذ الى ربه مآبا انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) ٣٩/٤٠ ـ النبأ •

والتفاتة الكافر الى التراب هنا التفاتة ذكية ، فهى ليست محض تحقير لذاته •• وانما هو وجد نفسه قد عومل معاملة التراب (وقودها الناس والحجارة) دون ان يكون له حظ التراب فى انعدام الاحساس بالالم ، فتمنى ان لو كان محروما من نعمة الحياة ، التى لم يوفها حقها من العناية بها والشكر لصاحبها •

وفى منطق الانذار نجد انه : (لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة) • بل لا وجه للمقارنة ولا حاجة اليها فى أرض الايمان ولكن المقارنة مطروحة على الكافرين انفسهم •

فالمؤمن يعمل من اجل الجنة (اصحاب الجنة) وهو ليس مهددا بغيرها على وجه الإيمان •

والكافر لا يعمل من أجل الجنة وهو مهدد بالنار على الوجه الذى يخيب فيه ظنه ، فهو من (اصحاب النار) ••

فأصحاب النار مهددون بها •

وأصحاب الجنة غير مهددين بالنار •

ولهذا كان (اصحاب الجنة هم الفائزون) •

وفى منطق الانذار نجد انه لا خسارة على المصدق بالانذار (ام يقولون افتراه ؟ قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون) ٣٥ ـ هود •

وفى منطق الانذار نجد انه : لا مجال للاستدلال على كذب

الانذار (1) فغاية ما يصل اليه المكذب أن يظن (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينـــــا من فضل .. بل نظنكم كاذبين) ٢٧ ـ هود .

(1) مع ملاحظة تطبيق (الشروط العلمية) التى نذكرها فيما يلى .

ازدواجية الإنذار :

واذا تأملنا الربط الوارد بين الانذارين الدنيوى والأخروى كما وجدناه فى سيرة سيدنا نوح ، وهود ، وصالح ، وابراهيم ، ولوط ، وشعيب ، وموسى •• الخ ادركنا دلالته الواضحة على جانب هـام من جوانب المنطق العملى فى الانذار •

وذلك انه فى كل مرة يتحدث فيها الرسول عن انذار بعذاب الآخرة فإنه يضع ذلك بموازاة انذار بعذاب فى الدنيا • واقع ، أو محتمل •

وما ذلك الا ليعلن للعقل البشرى على مدار التاريخ : انه بنفس الإجراء العملى الذى تتفق الانسانية على اتخاذه دفعـا للانذار الدنيوى ، وهو اتخاذ جـانب السلامة والاحتياط وطلب الامن ممن يملكه ، عليها ان تفعل مثل ذلك بالنسبة لانذار يتعلق بمـا بعـد الموت •

يقول تعالى (فأذاقهم الله الخزى فى الدنيا ولعـذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) • ٢٦ / ٢٧ الزمر •

فهو لا يختلف فى نسقه المنطقى عن الانذار الأول قيد انملة •

فاذا لم تفعل الانسانية ذلك بدافع الكبر او الجمود او العناد فانها لا تظلم الإ نفسها •

وليس لها بعد ذلك ان تطلب النجاة ممن تولت عنـه وأعطته

ظهرها ونسيته فنسيها . (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) ٣٤ ــ الجاثية .

(لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) ٢٦ ــ ص .

(نسوا الله فنسيهم) ٦٧ ــ التوبة .

(قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسـوف يكون لزاما) آخر سورة الفرقان .

منطق الانذار بواقعة مستقبلية :

وفى منطق الانذار نجد انه : لا مجـــال للاستدلال الفلسفى الملزم على صحة الانذار بواقعة مستقبلية •

(قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها ؟ وانتم لها كارهون) ٢٨ — هود •

ولقد اتجه البعض الى طلب حصول الواقعة ليمكن التصـــديق بها (قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) ٣٢ — هود •

ولأن استعجال الواقعة للتصديق بها هو من شـــأن الحمقى والمضللين ، جاء قوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم مــا كانوا به يستهزئون) ٨ هود •

ان الحمقى الظالمين لانفسهم هــم الذين يطلبون التحقق من الواقعة الخطيرة بوقوعها (يسألونك عن الساعة ايان مرساها •• فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها) ••

أما الذين ينصفون أنفسهم فهم الذين يتعاملون مع الواقعة :

على البعد •

على الغيب •

يتعاملون معها بالخشية قبل الوقوع ، لا بالتحقق بالوقوع :

(انما تنذر من يخشاها) .

وهى على كل حال واقعة قريبة ، سواء — لاصحاب التحقق بالوقوع ، أو لأصحاب الخشية بالغيب . (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية او ضحاها) النازعات .

وفى منطق الانذار وما يتضمنه من مشكلة التحقق بالوقوع جاء قوله تعالى (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ، ثم كلا سيعلمون ..) ١/٥ — النبأ .
ومتى سيعلمون ؟

قبل ان يجيب القرآن : يضع فاصلا من الايات المذكرة بنعم الله ، ليبرز مدى الجحود الذى يقع فيه المكذبون بيوم القيامة .

ثم يجيب بذكر اليوم الذى فيه يعلمون صحة ما كذبوه .

(ان يوم الفصل كان ميقاتا) ١٧ — النبأ .

يعلمون بالنبأ يوم وقوعه ..

ثم يذكر اهوال هذا اليوم التى تقع ، فيتعذب بها من ؟

يتعذب الذين لم يتوقعوها .. (انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا) ٢٧/٢٨ — النبأ .

وينجو من هذا العذاب اولئك الذين اتقوا ذلك اليوم على البعد (ان للمتقين مفازا) .

وفى هذا المعنى نفسه جاء قوله تعالى فى سورة المعارج — (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج،

تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا — انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) ثم يأخذ فى وصف ما يقع فى هذا اليوم من أهوال ثم يقول عن النار فى ذلك اليوم (كلا انها لظى ، نزاعه للشوى — تدعو من ادبر وتولى) •

ان التحقق من اليوم الاخر معناه مكابدة وقوعه بالفعل •• والطالبون — لهذا التحقق (الآن) هم طالبون لوقوع الواقعة المحذرين منها ؟ عجبا •

(واما نرينك بعض الذى نعدهم ؟)

(ويقولون متى هذا الوعد) •

(قل ارأيتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا) •

(أثم اذا ما وقع آمنتم به ؟) ٤٦/٥١ — يونس •

يستعجل المتشككون العذاب ليقع ليؤمنوا •

ايكون ثمة فائدة لهم عند ذاك ؟ •

هل يجوز هذا الطلب فى نظر المنطق العملى ؟

(اثم اذا ما وقع آمنتم به •• الئن ؟) لا فائدة الآن : فهذا الآن هو الذى اردنا لكم تفاديه وانتم اصررتم على مواقعته •

أأصرتم على مواقعته لتفاديه ؟

ذلك اعجب العجب •

فى اى قياس عملى يجوز ذلك ؟

فى اى قياس عملى يمكن التحقق من الواقعة قبل وقوعها ؟

فهل يجوز بعد ذلك فى القياس العملى ان تهمل الواقعة حتى تقع ... ؟

ايكون فى وسع المنذر ان يقدم شيئا على الواقعة التى ينذر بها غير التأكيد والتأكيد والتأكيد ، ثم يقسم على هذا التأكيد ويقسم ، ويقسم ؟ .

أثمة فى الوسع ـ العملى ـ اكثر من هذا ؟ اليس هذا هو اقصى ما يستطاع فى منطق الانذار بواقعه مستقبليه ..

(ويستنبئونك احق هو ؟ هل إى وربى انه لحق) .. يونس ـ ٥٣

فماذا يراد بعد ؟ ان اسلوب القرآن صريح فى ان تأكيد (الخبر) عن واقعة مستقبلية لا يكون بأكثر من القسم .

القسم بأقوى انواعه التى تدور فى فلك الواقعة نفسها .

ولكن ماذا يجدى القسم مع اصحاب النزعه الواقعية « العمياء » ؟

القسم صيغة مطروحة (يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون) اول سورة يس .

ولكن العدول عن القسم صيغة مطروحة ايضا (فلا اقسم بالخنس الجوارى الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم) الى ان يقول ـ (وما صاحبكم بمجنون وما هو على الغيب بضنين فأين تذهبون) .

ان الاخبار بواقعه مستقبلية يستتبع أحد أمرين : إما تصديق واما تكذيب ، والبحث فيما وراء ذلك من ادلة نظرية بعيد تماما عن الطبيعة العملية للموقف (فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائق واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) ٧٣ — يونس •

وما كان هناك مفر من ان يغرقوا • لقد انذروا بالطوفان قبل ان يقع بهم ••

فانتظروا الى ان وقع بهم •• فهم اغرقوا انفسهم (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) •

يقول القاضى عبد الجبار فى العلم بالواقعات المستقبلية : (وانما تعلق اكثر التكاليف دينا ودنيا بالظنون •• لتعذر ان يصل المرء الى العلم بالواقعات فى المستقبل ، فأقيم الظن مقامه ، ثم لا يكون عمله عملا بالظن •• والا فمتى حصل غالب الظن فى حصول نفع او ضرر علم احدنا بعقله حسن الاقدام او وجوب التحرز) •

ان استمرار الانسانية فى طلب الدليل النظرى على حادثة مستقبلية ذات طبيعة عملية لهو نوع من الإصرار على التكذيب المحض ! يقول تعالى عن هؤلاء : (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل •• كذلك نطبع على قلوب المعتدين) ٧٤ — يونس •

ان الانذار الذى يأتى به الرسول هو — بكل بساطة — خبر عن واقعة مستقبلية •

ومن شأن الوقائع المستقبلية ان لا يحدث التحقق منها الا بوقوعها •

انك لا يمكنك ان تتحقق من ان فلانا سوف يقتل فلانا مهمـــا تواردت امامك الادلة والبراهين الا اذا حصل القتـــل فعلا وعندئذ يكون الوقت قد فات للتحرز وفرصة النجاة بالاستعداد قد أفلتت .

ومن هنا جاءت تسمية القرآن للاخرة بـــ (الحاقة) ـــ فهى بذاتها التى تضع عينك على الحقيقة ، فتتعرف على الحقيقة وتتيقن منها ببروزها أمامك بالفعل ، ولا طريق للتيقن من الوقائع بغير هذا ما دمت تريد تحصيل اليقـــين بجهودك الشخصية ، وتتنصرف عن الاستعداد للخطر قبل وقوعه .

بين الخبر الانذارى والخبر التبشيرى

وقد يقول قائل ولم كان التركيز فى منطق الرسل على الانذار بالعذاب بقدر اكبر مما كان للتبشير بالجنة ؟[1]

والجواب على ذلك ان منطق الانذار اكثر افحاما من منطق التبشير .

فمن حق المكذبين ان يقولوا اليكم عنا بجنتكم هذه لا نريدها .

ولكن انى لهم ان يقولوا اليكم عنا بناركم ، وهى تقع على رءوسهم ارادوا أم لم يريدوا :

ومن هنا كان وقوع الضرر اكثر فاعلية فى الرجوع الى الله من وقوع الخير .

وهذا ينعكس بالتالى على الانذار والتبشير .

(واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) . يونس — ١٢ ..

والتعبير بالمسرفين هنا يظهر كيف ان هؤلاء يهدرون فاعلية الخير الذى يقع بهم ويذهبون به بددا ..

ويقول الله تعالى (واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا ..) يونس ٢١ ..

---

(١) جاءت مادة انذر ومشتقاتها فى القرآن حوالى مائة وعشرين وثمانية ، ومادة (بشر) بمعنى البشارة حوالى خمسة واربعين .

ومكرهم هنا استعمالهم أحابيل العقل النظرى .

(قل الله أسرع مكرا ..) يونس ٢١ يعنى ان مكرهم ينقلب عليهم مباشرة لانهم انما يؤذون انفسهم بهذا المكر .

فرجوع مكرهم الى نحورهم شىء طبيعى .

وهو المقصود بقوله تعالى (قـــل الله اسرع مكرا) لان وقوع الامور على وجهها الطبيعى انما هو من سنن الله ..

ويقول تعالى فى بيان فاعلية الضر (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصـــين له الدين لئن انجيتنـــا من هذه لنكونن من الشاكرين .

فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحـــق) يونس ٢٣ ..

وهنا يأتى مرة اخرى معنى « قل الله اسرع مكرا » فيفســره تعالى على النحو المذكور سابقا اذ يقول تعالى تكملة لهذه الآية (.. يا أيها الناس ــ انما بغيكم على انفسكم ، متاع الحياة الدنيا ، ثم الينا مرجعكم فننبئكم ــ بما كنتم تعملون) ٢٣ ــ يونس ..

ان الالم ومن ثم (الانذار بالنار) اكثر تقريبا الى الحق .. من النعيم (ومن ثم البشارة بالجنة) .

(وقال موسى : ربنا إنك اتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم حتى يروا العذاب الاليم) ..

لم تكن دعوة موسى هذه رغبة فى شماتة ، أو تعبيرا عن حقد •

وانما كانت ادراكا لطبيعة الانسان فى تردده بين الحق والباطل والعوامل التى تؤثر على حركته بينهما ••

ولذا فان الله استجاب لدعوة موسى عليه السلام (قال قد اجيبت دعوتكما) ٩٩ ـ يونس •

منطق الإنذار بين الحقيقة الواقعية والحقيقة الأخلاقية :

كثيرا ما نرى الحدث الكونى أو الطبيعى وله وجهان أو اكثر : وجه من حيث هو نتيجة لقوانين كونية أو طبيعية وضعها الخالق لهذا الكون الموزون (والسماء رفعها ووضع الميزان) .

ووجه من حيث هو تعبير عن الثواب والعقاب لمن استجاب او لم يستجب لمقتضيات هذا الميزان ، اذا سبق له ان أحيط بها علما (ألا تطغوا فى الميزان،وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان).

ولنضرب لذلك مثلا من حياتنا اليومية :

فعندما يقال لقائد السيارة مثلا : إذا سرت بدون ماء فى « الرادياتير » احترقت سيارتك ، ولحق الأذى بك وبمن حولك . فإذا به يتصرف كأن لم يسمع هذا التقرير ، فاحترقت سيارته ولحق الأذى به وبمن حوله فتلك حقيقة واقعية ووجه من وجوه الحدث .

وهذا الحدث نفسه يمكن تقديمه بصورة أخرى اذا قيل له : حذار من ان تسير بسيارتك بغير ماء فى « الرادياتير » ، والا كان جزاؤك على هذه المخالفة أن تحترق ، فاذا به يتصرف كان لم يسمع هذا الانذار ، فاحترقت سيارته أو احترق بها فتلك حقيقة «اخلاقية» ووجه ثان من وجوه الحدث .

وقد يكون لهذا الحدث نفسه وجه ثالث : هو بالنسبة لمن يتعلق بهم الحدث بصفة عارضة من المارة مثلا ، فسلامة سيارتك أمر مفيد بالنسبة لهؤلاء المارة ، يتطلب منهم نوعا من الشكر ، واحتراقها يلحق بهم الأذى ويستحقون عليه نوعا من التعويض .

والقرآن الكريم قدم لنا حادث النار باعتباره حقيقة واقعية ، وباعتباره حقيقة اخلاقية (الثواب والعقاب) •

صحيح أن التركيز جـــاء على الصـــورة الثانية (الحقيقة الأخلاقية) وذلك لما فيها من اظهار عناية الله بالانسان ، ولما فيها من أسلوب مباشر فى ايقاظ ارادة الانسان وتوجيه فعاليته الى طريق النجاة ، ومن هنا جاء قوله تاعلى عن النار (أعدت للكافرين) • وعن الجنة (أعدت للمتقين) •

ولكن الصورة الأولى (الحقيقة الواقعية) جاءت أيضا ، بل هى التى تقررت أولا • (يا أيها المدثر قم فأنذر) ، كما تقررت فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه) •

فالقرآن الكريم يسوق لنا حادث النار باعتباره حادثا كونيـــا عاما : أنذرنا به وحذرنا منه ، ورسم لنا طريق النجاة فيه •

ويتضح كونه حادثا عاما فى مشاركة الانسان للحجـــارة ، فى قوله تعالى (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجـــارة) ٢٤ البقرة •

وفى قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النـــاس والحجارة) ٦ التحريم •

وفى قوله تعالى عن هذه النار (لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر)

وفى مقالة هذه النار فى الآخرة (هل من مزيد •••) •

وفى قوله تعالى (ان منكم إلا واردها كان على ربك حتمـــا

مقضيا) • ولذلك تكون النجاة لمن ابتعد بنفسه عن طريق هذا الحدث منذ البداية (ثم ننجى الذين اتقوا •••) ويكون الهلاك محض ترك لمن تجاهلوا هذا الحدث فى البداية وظلموا أنفسهم بتجاهل الانذار (ونذر الظالمين فيها جثيا) •

ومن هنا جاءت الاشارة الى الصراط (فاستبقوا الصراط) وهو منصوب على متن جهنم ، يمر الناس منه على قدر اعمالهم •

فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يزجف زحفا •

وقد جاء فى الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم (ويضرب الجسر بين ظهرانى جهنم فاكون أنا وأمتى أول من يجيزه ولا يتكلم فى ذلك اليوم الا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم) •

وفى صحيح مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم (أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الأرض والسماوات ؟ قال : على الصراط) •

وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء من حديث جعفـــر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يســـأل على بن زيد وهو يبكى فقال : يا أبا الحسن كم بلغك أن ولى الله يحبس على الصراط قال : كقدر رجل فى صلاة مكتوبة أتم ركوعها وسجودها ، قال : فهل بلغك أن الصراط يتسع لأولياء الله ؟ قال : نعم •

وفى الصحيحين جاء قوله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان : فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر أشأم فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه

فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمره •)[1] •

وجـاء فى الصحيين قوله صلى الله عليه وسلم (••• فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بساق العرش فلا أدرى هل أفاق قبل أم كان ممن استثنى الله) •

فهذا جميعه يؤكد عمومية « الحقيقة الواقعية » لحادث النار ، مما يدخل باعتباره ركيزة فى منطق الانذار ، اذ هذه الحقيقة الواقعية تتحول ــ دون ان تزول ــ الى حقيقة اخلاقية بمجىء الانذار :

(يا أيها المدثر قم فأنذر •••) •

والعناية الالهية معطاة للناس جميعا بمحض الانذار :

(أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم ان أنذر الناس) • فالانذار هو « للناس » •

أما البشرى بالنجاة فهى لمن يستجيب لمقتضى الانذار أى لمن يصدقه بالغيب •

(وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) •

ولهذا فحقيقة موقف الكافر لا تعدو أنه (كذب وتولى) •

ومن ثم كان التارك المتروك (قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم)•

والأمر هنا أشبه بما كان فى حادث الطوفان : حقيقة واقعية تحولت الى حقيقة أخلاقية بالانذار : فمن ركب السفينة كانت النجاة له نهاية وجزاء ، ومن تولى عنها كان الهلاك له نهاية وجزاء كذلك •

والانسان يدلف الى نهايته الجزائية بقدميه (فأمـا من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) ٣٧ النازعات •

---

(١) التخويف من النار للحافظ ابن رجب الحنبلى • طبعـــة بيروت ص ١٨١ ، ص ١٩٣ ، ص ٢٠٣ •

منطق الانذار فى قضية التوحيد

وليس منطق الانذار كافيا فى الركون الى الله والايمان بـــه فحسب ولكنه كاف فى قضية التوحيد ايضا :

يقول تعالى (ويوم نحشرهم جميعـــا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم أنتم وشركاءكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ، فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنـــا عن عبـــــادتكم لغافلين ••) ٢٨/٢٩ ــ يونس •

ومنطق الانذار ــ خوف عذاب يوم عظيم ــ كان يقتضى ممن أشرك :

ان يكون بيده ضمان ممن يملك هذا اليوم (مالك يوم الدين) ان يقول له : قبلت ذاك الشريك وهو معتمد عندنا •

أو يكون بيده ضمان من ذاك الشريك أن يقول له : عندى ضمان من الله موثق ان اكون مقبولا عنده كشريك ••

أو يكون بيده ضـــمان من ذاك الشريك ان يطمئن عبده الى أنه صاحب حول وطول وقوة يعصم العبد بها •

والامر الذى لاشـــك ان (العبـــد) ليس بيده شىء من هذه الضمانات •

فيرجع الامر اذن الى دخول العبد فى رحـــاب « الله أكبر » (وردوا الى الله مولاهم الحق ••) يونس ٣٠ ، مكتفيا به (•• فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) يونس ــ ٢٩ •

معتمدا على المعبود الذى يملك الرزق والسمع والبصر والحياة والموت •• (قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السـمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت مـن الحي ومن يدبر الامر ••) يونس ٣٠ •

ماذا يقول المشركون ازاء هذا السؤال ؟ (فسيقولون الله) يونس ٣١ •

وهنا نرجع الى منطق الانذار والبحث عن دار السلام •• ولذا ينبه القرآن الى هذا المنطق اثر هذا التحليـل لموقف المشرك عند الشركاء •• فيقول (فقل افلا تتقون) •• يونس ٣١ •• منطق الانذار منطق التقوى ، يلزم الانسان عمليا بالاعتصام بالله لانه هو الذى يعصم العبد من الشركاء ، وهو الذى لا يعصم العبـد منه شريك (•• ما لهم من الله من عاصم) ••

وكما نقول عن الاخرة وعن الايمان عموما (السلامة متحققـة فيه والمهالك مخوفة فى مخالفته ••) • فكذلك الامر فى التوحيـد (السلامة متحققة فيه والمهالك مخوفة فى مخالفته ••) •

فما حاجتنا بعد الى جدل الفلاسفة وعلماء الكلام ؟

لتحصيل مزيد من الايمان واليقين ؟

نقول : فاقد الشىء لا يعطيه •

ونكرر ولا نمل التكرار : مزيد الايمان واليقـين يأتى من الله بعد التسليم له وحده •

(وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ، ان يتبعون الا ظنا ، وان هم إلا يخرصون) يونس ـ ٦٦ •

ويزيد القرآن الامر توضيحا فى منطق الانذار ازاء قضية الشرك فيقول (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده •• ؟)

(قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده ••)

(قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق •• ؟)

(قل الله يهدى الى الحق ••)

فمنطق الانذار يقتضى اجراء الموازنة بين الله الواحد وبين الشركاء لكى يحدد الانسان موقفه إزاء الانذار الصادر اليه •

والمقارنة هنا تجرى على النحو الوارد فى الايات :

(قل من يرزقكم) ؟

(امن يملك السمع والابصار) ؟

(ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ؟

(ومن يدبر الامر) ؟

(من يبدؤ الخلق ثم يعيده) ؟ يونس — ٣٤

(من يهدى الى الحق) ؟

(أفمن يهدى الى الحق أحق ان يتبع ، أمن لا يهدى الا ان يهدى) ؟

(هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ••) يونس — ٦٧

(هو الغنى) •

(له ما فى السموات وما فى الارض) يونس — ٦٨

(ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) يونس ١٨ •

وهنا يمكن القول بأن الانذار في هذا الاطـــار المحصور فى في الاتجاه الى الله والبعد عما سواه •• هذا الاسـلوب الانذارى كاف فى اسقاط أوثان الشرك دون حاجة الى العقلانية التى حسب المتكلمون والفلاسفة انها السند الوحيد فى مقارعة الباطل •

منطق الانذار فى قضـــية التشريع

فى نفس السياق : سياق الانذار باليوم الاخر بمنطقه العملى المؤدى ــ الى الاعتصام بالله والتوحيد وانتظار اليــوم الاخر .. بنفس هذا المنطق وفى نفس هذا السياق يتحدث القرآن عن موقف الانسان كما يجب ان يكون ــ من قضية التشريع فيقول : (قـــل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ؟ قـــل الله أذن لكم .. ؟)

منطق الانذار يقتضى منى ان استند فيما احل واحرم الى اذن الهى .. ليكن فى يدى هذا السند ، أتقـــدم به الى الله يــوم القيامة ، فأقول : حرمت لانك حرمت وحللت لانــك حللت .. هذا السند هو صك الامان والسلامة والنجاة .. اما اذا لم افعل فما هو الضمان : وكيف احتج والى اى شىء استند ؟ ..

هنــا بالمنطق العملى يكون اليقين بالنجـــاه ويكون التعرض للهلاك ..

يقين النجاة فى سند يحمل الاذن الالهى .

والتعرض للهلاك يكون فى ضياع هذا السند من يدى ..

(ام على الله تفترون ؟ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ؟) يونس ٥٩/٦٠

اليس الملتزم بالسند الالهى فى التشريع يتحـــرك فى دائرة اليقين بالامن والسلامة ؟ .

اليس المستخف بهذا السند يضطرب فى دائرة احتمال تخلى الله عنه يوم يقع العذاب ؟ ..

بين المنطق النظرى والمنطق العملى فى سيرة (بعض الرسل)

وليس هذا المنطق العملى قائما على ارضية من الشك الرجراج كما قد يظن البعض (١) ، لان هؤلاء لا يزالون يعصبون اعينهم بغشاوة العقل النظرى يشير اليها قوله تعالى فى سورة يس (أنا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) •

وبالله عليك أية اغلال وأية سدود وأية أوزار وأية اثقال — ان لم تكن هى تلك (الانظار) و (التأملات) التى يشترط عليك (النظريون) خوضها من خلال ركام فلسفات سقراط وافلاطون وارسطو والفارابى وابن سينا وابن رشد والقاضى عبد الجبار والعلامة عضد الدين ؟ •

ان طبيعة العقل النظرى وجدليته وذاتيته هى التى تقصر به عن التفرقة بين الحق والزيف •

وهنا تأتى سيرة موسى عليه السلام مع فرعون بكاملها •

إن المأساة هنا هى مأساة الانسان (المرتبط بالعقل النظرى) فى عجزه عن التفرقة :

بين الحقيقة وتمثلها (الحية تسعى حقيقة) •

وبين الزيف وتمثله (الحية تسعى سحرا) •

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

---

(١) سيأتى بعد هذا مباشرة الكلام عن اليقين فى (المنطق العملى) •

(فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى: اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون) ٧٧ — يونس •

ثم يقول سبحانه وتعالى (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم ، فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) •

وماذا يفرق بين الحق والسحر ؟

انها كلمة الله ••

كلمة الله « الفاطلة » •

(ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) ٨١/٨٢ — يونس •

(فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالو أمنا برب العالمين رب موسى وهارون) ٤٥/٤٨ — الشعراء •

ومنذ هذه الواقعة التاريخية التى انتصر فيها فرعون للسحر انحرف التاريخ الانسانى الى مسارب العقل النظرى المسحور •

إذ ماذا لو ان فرعون قبل رسالة موسى ؟

اذن لتغير وجه التاريخ :

اذن لتطهرت مصر من الوثنية فى وقت مبكر •

وإذن لتطهرت الارض من العنصرية بذوبان اليهود ••

واذن لما عرفت الانسانية شيئا يسمى اليهودية او الصهيونية ..
اذن لتغير وجه التاريخ .

اذن لاجتمع مع القوة (مصر) الحق (موسى) .

ولكن مصر تقاعست وتراجعت وتأخرت .. تأخرت من عهد موسى الى عهد محمد .

وبين العصرين افرخت اليهودية وافرزت ! ..

افرخت الصهيونية العالمية .. وافرزت سموم العنصرية ..

وتكرست منذ ذاك الوقت انفصالية الحق عن القوة .. وضياع القوة فى مسارب الباطل ..

وانفصال المنطق النظرى عن المنطق العملى ..

وفى هذا الطريق سار اليونان وسارت الحضارة الهيلينية والرومانية والى هذا انحرف ما يسمى (الفلسفة الاسلامية) التقليدية عند الفارابى وابن سينا وابن رشد .

وماذا عن أتباع موسى عليه السلام من اليهود ؟ انهم لم يكونوا على ارض صلبة من الايمان الخالص .. انهم تبعوه لعصبية عرقية قومية .. هكذا كانت بداية التجمع اليهودى حول موسى قائمة على شفا جرف هار من ضلال ، ذلك أنه (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم) ٨٣ — يونس .

هكذا كانوا بين مقتض ومانع ، كلاهما غريب عن الدافع الحقيقى للإيمان مقتض هو العصبية العرقية ومانع هو الخوف من غير الله .

•• وهنا يعلن موسى عليه السلام الدافع الحقيقى فى قولـــه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليـــه توكلوا إن كنتم مسلمين ••) ٨٤ يونس •

ان اصحاب المنطق النظرى هؤلاء هم الذين تقول عنهم ســـورة يس (وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون) •

ومن ثم فهى تختصر لنا الطريق وترجع بنا الى منطق الرسل ، منطق الانذار وتبدأ معنا من اعلان الخطر القادم (انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجـــر كريم إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين) ••

اليقين فى المنطق العملى

فاذا تركنا المنطق النظرى بسدوده وغشاواته وأثقـــاله وجدنا المنطق العملى بقيامة على ارض الضرورة العملية ينطلق من (يقين) جديد وقطعية جديدة هى موضـــــع السجود والاقرار من النظريين والعمليين واصحاب الفلسفات المختلفة جميعا •

وقد اشار الامام الغزالى الى هذا (القطـــع) وهذا اليقين فى كتاب ميزان العمل اذ يقول (لقد تبين على القطع ان العظيم الهـــائل وان لم يكن معلوما فبالاحتمال يتقدم على اليقين المستحقر ••) وهو يعنى بالعظيم الهائل (خطر الاخرة) ويعنى باليقين المستحقر بعض اللذات ، القريبة فى هذه الدنيا •

وهذا المنطـــق العملى بأرضيته القطعيـــة تلك هو الذى ظهرت اصوله فى علم اصول الفقه عند اهل السنه والمعتزله على السواء •• وفى هذا يقول القاضى عبد الجبار من المعتزلة :

(لقد تقرر فى العقول وجوب دفع الضرر عن النفس معلوما كان أو مظنونا متى كان المتحرز منه اعظم من المتحرز به ••) •

٧

وفى هذا يقول علماء الاصول ايضا (العمل بالظن فى تفاصيل معلوم الاصل واجب عقلا كاخبار (واحد) بمضرة طعام يوجب العقل ــ أى العقل العملى ــ العمل بمقتضاه للأصل المتيقن من وجــوب الاحتراس عن المضار) •

وفى هذا يقول العلامة ابن الوزير : (من واجب العـــاقل أن

يدفع عن نفسه المضار المحتملة •• لان الســـــلامة متحققــــة فى الايمان والخطر مأمون فيه والمهالك مخوفة فى مخالفته ••) •

ان التيقن بالنجاة كائن على طريق الإيمان •

وان توقع الهلاك كائن على طريق الكفر •• وفى هذا يقــول تعالى :

(الا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هــم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ••)

هكذا : الايمان على أساس التقوى ، تقوى عذاب يوم عظيم ، هو الذى يدخل الانسان فى يقين اللا خوف واللاحزن •

أما اللا تقوى واللاايمان فهو يدخل الانسان حتما فى الخوف خوف •• أن يحصـــــل العذاب •• ويدخله حتما فى الحزن : حزن الانسان على نفسه : أنه واقع فى اسار الخوف المقيم • أما أولياء الله فإنهم لا يخافون ، وكيف يخافون يوما قد اســـــتعدوا له وابتعدوا بأنفسهم عن مجرى الهلاك فيه ؟

وهم لا يحزنون ، وكيف يحزنون على انفسهم وقد نأوا بها عن مظنة الهلاك ؟ ، وكيف يحزنون وقد اطمأنت نفوسهم الى سكة الســـلامة بيقين ؟ •

ان الملحد اذ يرفض عبوديته لله فانه لا يكون على يقــين من النجاة بعـــــد الموت •• انه كذب باليوم الآخر دون أن يكون لديه الاسباب اليقينية لهذا التكذيب ومن هنا فهو يشك فى أســـبابه التى يعتمد عليها ويشك بالتالى فى نجاته فى ما بعد الموت •

انه كما يقول الله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يونس ٣٩ كذبوا بالآخرة دون ان يكون لديهم إحاطة علم بها .

ومنطق الإنذار الذى ـ عكسه الفلاسفة ـ يقتضى عـــدم التكذيب بخطر قادم إلا بعد الاحاطة التامة .

ومنطق الانذار نفسه يجعل المؤمن فى أمان بيقين مهمـا يكن الامر .

فالتحدى القائم هنا بين المؤمن والكافر ـ هو على أساس المنطق العملى الذى لا مفر منه ولذلك يعقب القرآن قائلا :

ومنهم من يؤمن به ، ومنهم من لا يؤمن به .. وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم .. انتم بريئون مما اعمل وانا برى ممـــا تعملون ..) يونس ٤١ .

ويقول تعالى (وقـــل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون) .

والمنطق العملى هنا واضح شـــديد الوضوح : ليعمل كل على مكانته ولينتظر : لينتظر المؤمن ما بعد الموت ؟ أثم خطر عليـــه هناك ؟ ..

ولينتظر الكافر ما بعد الموت ؟ أثم امان عليه هناك ؟ .

امان مطلق فى جانب الايمان ، وهذا هو اليقين ..

وتبعا لهذا المنطق يمكننا ان نقرر ان الامام ابن حزم بلغ غاية الصواب وهو يتحدث عن التقليد عندما ذهب الى ان المطالبة بالبرهان

فى قوله تعـــالى (قل هاتوا برهانكم ••) لم تكن فى القرآن قط موجهة لمن هم على طريق النجاة ، وانما هى توجه للكافرين لا غير •

واذا كان الظن مما يعمل به عند العجز عن اليقين فهو بالتأكيد لا يجوز اتباعه عند وجود يقين يتعارض معه •• وهنا اليقين بالنجاة ــ عمليا ــ موجود فى الأيمان والتوحيد ، ولكن النجاة فى غيرهما مشكوك فيها على الاقل فأي ــ الجانبين نتبع ؟ جانب اليقين فى النجاه ؟ او جانب الشك فيها • ؟

ولهذا يقول سبحانه وتعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظنا ، ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ••) يونس ٣٦ •

الشروط العملية للتفرقة بين انذار وانذار

واذا كنا بهذا قد وضعنا الاساس للفلسفة الاسلامية الذى يتمثل فى مبدأ الضرورة العملية السائد فى جميع الفلسفات ..

وبينا ما يقوم على هذه الضرورة من اجراء عملى يتمثل فى فى الانذار كمنهج يتضح فى سيرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسيرة الرسل جميعا .

وبينا ملامح (المنطق العملى) الذى يتغلغل فى منهج (الانذار) فانه لا ينبغى ان نغفل عن القواعد العملية النابعة من صميم هذا المنطق وهى القواعد التى تفرق بين انذار متبوع وانذار متروك .

وهى فى رأينا القواعد الاربعة المتكاملة الاتية :

القاعدة الاولى : فى طبيعة الانذار :

اول هذه القواعد العملية يرجع الى طبيعة الانذار نفسه .

وذلك انه اذا تكاثرت الانذارات كان للاكبر فيهما ان يلغى الاصغر .

فانه اذا قال لك قائل : اذا لم تخرج من بيتك اليوم تعرضت للحرمان من الرزق ثم قال لك اخر انك اذا خرجت اليوم ـ تعرضت لضايقات المرور كان الانذار الأول هو الانذار الاكبر المتبوع .. وكان الثانى هو الاصغر المتروك .

وهنا نجد فى رسالة الرسل الذين يمثلهم محمد صلى الله عليه وسلم ان ــ الانذار الذى جاءوا به هو (الانذار الاكبر) على وجه الإطلاق •

فهو لا يهددك بالحرمان من متعة ولا يهددك بالحـــــرمان من من منصب ، ولا يهددك بالحرمان من نصر •

ولكنه يضع امامك التهديد بالعذاب الخـــالد الابدى ويعدك بالنعيم الابدى فهو الانذار الأكبر باطلاق ••

ويتفرع على ذلك أن يكون المتحرز منه اعظم من المتحرز به •

فالجيش اذ يدخل ساحة المعركة مع العدو : يتحرز من عبودية الهزيمة وهى أكبر ، بآلام الحرب وهى اقل ••

وانت اذ تدخل ساحة المعركة مع الجهـــل تتحرز من عواقب الجهل : وهى اكبر ، بآلام السهر مع الكتاب ، وهى اقل •

هكذا الامر فى هذه الحياة الدنيا وكذلك الامر فى خبر يأتيك عما بعد الموت •• انت تتحرز ــ فيه من النار الخالدة : بترك الشهوات المؤقته •

القاعدة الثانية : فى مصدر الانذار

ولا يستقيم امر هذا الانذار الا بالنظر الى القاعدة العملية الثانية •

فانه اذا جاءك الانذار الكبير من منذر صغير سقط هذا الانذار مهما يكن امره ، لأنه لا يملكه ولو افتراضا •

ذلك أنه اذا قام مضحك الملك فى مجلس الملك ليقول له اذا لم تعطنى درهما خلعتك ، كان ذلك اجدر به ان يكون سببا لإشـــاعة المرح والسخرية ، لا ان يكون ســـببا للانزعاج وتهيج الخواطر ، فهو انذار ساقط منذالبداية •

وهنا نجد فى رسالة الرسل ان الانذار الذى جاءوا به لم يكن هو الانذار الاكبر فحسب ، ولكنه جاء صادرا من المنذر الاكبر — ولو على قاعدة الافتراض — لأن الذى اصدر الانذار موصوف بانه مالك الملك — مالك يوم الدين — انه الموصوف بصفات الكمال على الاطلاق، باطلاق ••

فهو العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الخالق المدبر الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار الرحمن الرحيم الوهاب الرزاق الفتاح العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الجليل الكريم الرقيب المجيب الودود الباعث الشهيد الحـق القوى المتين الولى الحميد الواحد الصمد ، الاول ، الاخر ، الظاهر ، الباطن • ذو الاسماء الحسنى •

اذن فهو الانذار الاكبر ، الصادر من (الله اكبر) باطلاق •

القاعدة الثالثة : فى مورد الانذار

ولا يستقيم أمر هذا الانذار بقاعدتيه السابقتين الا بالنظر الى القاعدة الثالثة التى ننظر فيها الى مورد الانذار : ذلك انه اذا جاءك الانذار الكبير من المنذر الكبير ـ افتراضا ـ ليطلب منك انت مورد الانذار ان تقوم بعمل لا تملك منه شيئا لأنه لا يتفق مع فطرتك ، كأن يطلب منك الملك ان تحمل عشرة اطنان فوق كتفك وألا اعدمك ، فهذا انذار ساقط ، واجدر به ان يكون حكما مبرما باعدامك منذ الان ، وليس عملا مطلوبا منك ان تقوم به .

وهنا نجد فى رسالة الرسل ـ فى حدود ما نعرفه عن محمد صلى الله عليه وسلم ـ انهم جاءوا اليك بانذارهم ليطلبوا منك مـا يتوافق مع فطرتك اولا ، (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ومـا يتحرك بها الى الافضل ثانيا : ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

لقد كانت رسالة الاسلام وما تزال تتفق مع الفطرة البشرية من ناحية وتسمو بها من ناحية اخرى : تتفق وتسمو وجدانا وأخلاقا ، وعقلا ، وجسدا ..

أما انها تتفق مع وجدان الانسان فانه ليس فيها ما يتناقض مع مشاعر الانسان وفطرته ، فليس فيها دعوة الى رهبانية ، أو دعوة الى تقطيع صلات الارحام .. او الى صراع الطبقات ، أو القوميات أو الاديان .. الخ .

وأما أنها تتفق مع عقله فذلك انه ليس فيها ما يتناقض مع هذا العقل كأن يلتزم بأن واحدا زائدا واحدا زائدا واحدا تساوى واحدا .

وفرق بين ان يكون فى الدين شىء فوق مستوى الفهم كأن

يجهل العقل البشرى كيف خلق الله الخلق ؟ وكيف يبعث الناس بعد الموت ؟ وبين ان يكون فيه شىء يرفضه العقل كالثالوث او الفداء .

واما انها تتفق مع جسده فليس فيها تحريم الزواج على رجل الدين مثلا او تكليف بما لا يطـــاق ، حتى فى دائرة التحريم فانه (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) ..

واما انها تسمو فلأنها كما قال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) .

يسمو بهم بالعلم والقيم جميعا .

يقول الله سبحانه وتعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . ٣٠ الروم

ويقول الرسول صلى الله عليه وســـلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجســانه) أى يخرجانه عن فطرته . معنى هذا أن الدين عند الله ــ وهو الاسلام ــ فطرة من الله ، تتطابق مع الانسان باعتباره فطرة الله أيضا .

ولذلك يقول الامام الشهرستانى (قد قيل : إن الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه .) .

وهذا يعنى أن الاسلام يلتقى مع الانسان فى قواه المختلفـــة ويتعامل معها جميعا ، لا يعطل واحدة منها ، ولا يتناقض مع احداها

وهذه القوى يمكن ان نصنفها فى ثلاث قوى رئيســـــية : العقل ، والوجدان ، والجسد جميعا .

والاسلام إذ يتعامل مع إحدى هذه القوى فإنه لا يتنافر مع الأخرى ، ذلك لأن الصفات النفسية والخصائص الانسانية يرتبط بعضها ببعض ، ويؤثر بعضها فى بعض ، والاعتقاد أو الايمان هو حالة للنفس تتأثر بخصائص النفس جميعا ، وتؤثر فيها جميعا .

والعقيدة الدينية الصحيحة لا تعتمد على جانب واحد من جوانب الحياة النفسية أو الجسدية للانسان ، ولكنها تتصل بها كلها اتصالا وثيقا ، ولا تستقر النفس الانسانية ولا تكمل شخصية الانسان الا اذا تضامنت شخصيته ونواحيه النفسية والجسدية كلها وعملت على تقبل العقيدة فى إجمالها وتفصيلها ، فيوجد قبول عقلى ، واطمئنان قلبى ، وتعاون جسدى، والتقاء مع الإرادة. وذلك هو كمال الشخصية وكمال العقيدة معا .

ومن أجل هذا جاء قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) ليفيد أن الاسلام يتطابق مع « وسع » الانسان ، عقيدة وشريعة ، ولكنه مع ذلك « يكلف » هذا الانسان ، ليرتقى به ، ففطرية العقيدة الاسلامية ، لا تعنى — إذن — تطابقا فحسب ، والتقاء فحسب مع الفطرة ، ولكنها تعنى أخذا بيد هذه الفطرة فى مدارج الكمال .

وتلك علامة أخرى على صـــــحة الدين ، لأنه لا قيمة لدين يعترف بالفطرة ، ولا يقدم لها شيئا جديدا ، فهو فى هذه الحالة يكون نوعا من تحصيل الحاصل ، أو نوعا من العبث ، وإنما الدين الالهى هو الذى بعد أن يضع يده فى يد الفطرة يأخذ بهذه اليد ليرتقى بها .

ومعنى هذا ان الدين الاسلامى إذ يلتقى مع قوى الانسان التى

تمثل فطرته ، فإنه يطالب هذه القوى بتسليم قيادها لله ، الذى هو مصدر الفطرة ، ومصدر الدين جميعا •

انه يطالب قوى الانسان : العقلية ، والوجدانية والجسدية ، والارادية ، يطالبها جميعا بالتسليم لله سبحانه وتعالى ، فالتسليم الذى يطالب به الاسلام ليس تسليم قوة من هذه القوى وحدها ، ولا هو تسليم قوة من هذه القوى — ولتكن الوجدان مثلا — لقوة أخرى ، ولتكن العقل مثلا ، وإنما التسليم المطلوب هو أن تتوجه هذه القوى جميعا فى صف واحد للتسليم للقوة الأعلى وهى الله سبحانه وتعالى • ولعل هذا هو معنى قوله تعالى :

« قل أى شىء أكبر شهادة » ؟ لم يقل : شهادة العقل ، او شهادة القلب ، أو شهادة الفليسوف ، أو شهادة الصوفى ، وإنما قال « قل الله شهيد بينى وبينكم » •

وهذه الآية إذن تتحدث عن الله لا باعتباره خالقا وأصلا للوجود فحسب ، ولكنها تتحدث عنه كأصل للمعرفة الانسانية ، ومرجع يكون عنده التسليم المطلق •

« إن إلى ربك الرجعى » •

فلتستسلم الفطرة البشرية ممثلة فى قواها المختلفة فلتستسلم جميعا لخالقها :

« ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » صدق الله العظيم •

وإذن فعندما نقول ان الاسلام دين الفطرة فإننا نعنى فى نفس الوقت أن ذلك علامة صحته وأنه من عند الله •

ذلك أن الله وهو بارىء النفس الانسانية وخالق قواها المختلفة يعرف خصائصها وما يصلح لها ، • (الا يعلم من خلق وهو

اللطيف الخبير) • وليس من المعقول أن يتصور أحد أن الدين الذى يرتضيه الله لخلقه — وهو الاسلام — يمكن أن يأتى متعارضا أو متناقضا مع الخلقة التى برأهم عليها •

إن الأديان المزيفة أو الملفقة التى يصطنعها الانسان أو يصطنعها له الشيطان هى التى يتصور فيهـا أن تقع فى هذا التنـــاقض أو الاضطراب ، لأنها تصدر من جانب ، بينما تصدر الفطرة الانسانية من جانب آخر ، وصانع هذا •• أى صانع الانسان وهو الله سبحانه وتعالى غير مرتكب ذاك أى غير مرتكب الدعوة الى الدين المزيف •

وإذا كنا فيما سبق قد أوضحنا أن التقـــاء الدين مع الفطرة وارتقاء الدين بالفطرة هو علامة على صحة الدين ، فاننـا يمكن أن نقرر هنا أن تناقض الدين مع الفطرة علامة كافية على أنه ليس من عند الله ، ويمكن للباحث فى الأديان أن يكتفى بهذه العلامة ليكشف زيف الأديان الوضعية أو المحرفة •

فإذا جاء فى الدين تكليف للجسد بمالا يطيقه الجســد ، من رهبانية تحرم مالا حياة للجسد الا به •••

وإذا جاء فى الدين تكليف للعقل بما ترفضه بديهة العقــل من قضايا تجمع فى ذاتها التناقض •••

وإذا جاء فى الدين تكليف للوجدان بما يسحق هذا الوجــدان من تقطيع الأرحام ••

إذا جاء فى شىء من الأديان الوضعية شىء من ذلك فاعلم أن هذا الدين ليس موجها الى الفطرة الانسانية ، وليس صـــادرا ممن خلق الانسان • وما أسهل هذا المقياس مقياس الفطرة للتعرف على الدين الصحيح : ان الدين عند الله الاسلام •

القاعدة الرابعة : فى حـــــامل الانذار

ولابد من القاعدة الرابعة التى تتعلق بحامل الانذار ذلك انه اذا ارسل الملك الى رعيته رسولا ينذرهم بعقاب من يصنع الخمر ، وكان الرسول هو صاحب المصنع ، كان الانذار بالضرورة ساقطا لأنه يعى أن الملك يهزل ، أو يجهل •

وهنا نجد فى رسالة الرسل ـ انهم اذ جاءوا بالانذار الاكبر من المنذر الاكبر كانوا وهم حملته يمثلون الانسان (الاكبر) إن صح هذا التعبير •

لقد كان رسول الله على مستوى الانذار الذى جاء به •

١ ـ سيرته صلى الله عليه وسلم

هنا كان حامل الانذار كاملا فى اخلاقه ، وفى عقله وفى جسده، لان هذا مقتضى ان يكون الرسول حاملا للانذار الاكبر من المنـــذر الاكبر •

فاذا اكتملت هذه القواعد الاربعة كان الانذار هو المتبـــوع باطلاق ، وسقطت من حوله جميع الانذارات الاخرى فيستقيم امر الرسالة الصحيحة ، ويشع نورها من ظلام الرســـالات والمذاهب الساقطة المتروكة •

وهكذا كان امر الاسلام ، جاء بالانذار الاكبر من المنذر الاكبر يحمله الانسان الاكبر •

لقد كان هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم فى سيرته ••

كان متصفا بالعصمة عن المعصية قبل البعثة وبعدها ٠

متصفا بالذكاء والفطنة ورجاحة العقل ٠

متصفا بسلامة الجسد من العيوب التى تنفر منه ، وتصرف الناس عنه ٠

(الله اعلم حيث يجعل رسالته) ٠٠ (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر) ٠٠

ومن هذه القاعدة العملية الرابعة تدخل (السيرة) ركنا اساسيا فى تكوين البناء الاسلامى فلسفيا وعمليا على السواء ٠

لقد كانت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم فى سيرته مصداقا لقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) ٠

ومصداقا لقوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ٠

وبالرجوع الى سيرته قبل البعثة نجد بعده عن لهو اقرانه بمكة وتجنبه عبادة الاصنام ، واجماع اصحابه وغيرهم على وصفه بالصادق الامين ٠

ولقد شهد له بذلك (بالصدق) اعداؤه الذين (كذبوه) فى دعوى الرسالة ، فقد اخرج الترمذى ان ابا جهل قال للنبى — صلى الله عليه وسلم — انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به ٠٠

ومنطق المكذبين هنا لا يتفق مع طبيعة النفس البشرية فى التعود على الصدق أو الكذب ٠

انه يستحيل ــ عمليا ــ وها نحن نتحرك فى دائرة المنطـــق العملى ــ يستحيل ان يكون المرء صادقا فى كل اموره الا امرا واحدا •• خاصة اذا كان مستمرا فى كذبته فى هذا الامر الواحد لا يتوب منها ولا ينقطع عنها •

لا يمكن لطالب علم مثلا ان يتحرى الصدق فى كل امر ، الا امرا واحدا يبلغ فيه اهله انه نجح فى الامتحان ، وهو كاذب ، لان هذه الكذبة الاخيرة المستمرة تحتاج الى غذاء مستمر لتبقى : غذاء من الكذب والرذائل بانواعها المختلفة ، فقد يضطر ــ إنقاذا لكذبته الواحدة ــ ان يكذب فى نوعية الكتب المطلوبة للعام القادم ، وان يكذب فى توقيت تخرجه ، وأن يرشو صديقا أو موظفا ليشهد له ، وقد يضطر الى ما هو اشنع من ذلك •

طبيعة النفس البشرية لا تسمح بهذا رغم انف ابى جهل ، ان النفس البشرية هنا مكشوفة فى قوله صلى الله عليه وســلم (ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة •• وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا •• وان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ••) •

طبيعة النفس البشرية هذه ، وشهادة الاصـــــدقاء والاعداء والتاريخ لمحمد صلى الله عليه وسلم بالصدق ، كافيـــة فى حســم القضية ، واعلان صدق محمد فيما يخبر به عن الاخرة ، وفقا لمنطق الانذار الذى ذكرناه •

وبالرجوع الى سيرته بعد البعثة نجد التزامه الكامل بما يدعو اليه ، وفى هذا تصبح السيرة هى الشريعة ، والشريعة هى الســيرة تطابقا كاملا بين النظر والعمل •

٢ ــ سيرة اصحابه المقربين

وفي هذا ايضا تأتي دلالة عملية اخرى ، من حيث التطابق بين الصـــانع وصنعته ، فالنبى صلى الله عليه وسلم صـــنعته هداية البشرية ، واذن يستدل على صدقه مما صنع باصحابه .

وهنا تصبح سيرة الصحابة جزءا لا يتجزأ من الاستدلال على صدقه عليه السلام .

ان دعوى النجار فى انه نجار تظهر من صنعته فى الخشب ،وان دعوى الحداد فى انه حداد تظهر من صـــنعته فى الحديد .. وان دعوى الطبيب فى انه طبيب تظهر من صنعته فى شفاء المرض .. وان دعوى النبى فى انه نبى تظهر من اثره فى اســـتقامة اصحابه المقربين منه .

فهل كان منهم من فاسق أو طاغية ، أو متكبر ، أو كذاب .؟

أمامنا تاريخ ابى بكر وعمر ، وعلى ، وبلال ، وسلمان ، وابى ذر .. الخ . اعلام ــ مضيئة فى تاريخ الانسانية تدل على صنعة محمد ، وانها كانت حقا صنعة الانبياء ..

وقد تنبه الى ذلك ابو الحسن الهـــارونى الحسنى الزيدى ت ٤٢١هـ عندما قال (ثم رزق صلى الله عليه وسلم وعلى آله ما لم ينقل ان احدا من الانبياء رزق مثله من الاصحاب الذين كانوا اعلاما، نحو امير المؤمنين على عليه السلام الذى بهر بفضائله الكافة واجتمع فيه ما تفرق فى غيره من المناقب والمحـــاسن .. ثم من دونه من العلماء وكبار الفقهاء ، مثل عبد الله بن عباس ثم زيد بن ثابت ، ثم معاذ بن جبل ، ثم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ثم عبد الله

ابن عمر ، ثم حذيفه بن اليمان ، ثم الزهاد مثل سلمان الفارسى ثم ابو ذر الغفارى •• ثم انهم حازوا هذه الفضائل •• فى مدة يسيرة •• فتأمل رحمك الله ما ذكرت من احوالهم •• لتعلم ان ذلك كان بتوفيق من الله نبه به على نبيه المختار ، فى صدق ما ادعاه بل لا يبعد ان يقال : اذ ذلك آية بينه ودلالة محققة) (١) •

٣ ــ انتصاراته :

وفى نطاق المنطق العملى ايضا يأتى ما سجله التاريخ من نصرة الله لرسوله كدلالة على صدقه •

وهنا ينبغى ان نفرق بين النصرة المتصفة بالرسوخ والاستمرار ، المتصلة بموضوع الدعوة ، وبين الفورة السريعة الزوال ، أو النصرة الظاهرية ــ المصحوبة بانهزام الدعوة ذاتها ••

فدلالة الصدق تكون فى الاولى ولا تكون فى الثانية •

كما ينبغى ان نفرق بين نصرة تأتى لمن ادعى الرسالة من الله وهو كاذب ، فهذه لا تجوز بالقياس الى صفات الله ، المنذر ، وبين نصرة ــ تأتى ، لزعيم ، بلغ فى الفسق مبلغه لكنه لم يقتحم مجال ادعاء الرسالة ، فهذه تجوز ولا تضر بدلالة الصدق التى نحن بازائها •

اذا لاحظنا ذلك فى مجال ، النصرة ، ذهبنا الى التاريخ لنشهد انتصار نوح وانتصار ابراهيم ، وانتصار يوسف ، وانتصار موسى ، وانتصار عيسى وانتصار محمد ، ثم لنشهد مصير اعدائهم فى مزبلة التاريخ •

---

(١) انظر كتاب اثبات بنوة النبى ، تحقيق خليل احمد ابراهيم الحاج ــ طبعة دار التراث العربى عام ١٩٧٩ ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ •

فى هذا المنطق العملى الخاص بالنصرة يقــول على ابن ربن الطبرى فى كتابه ، (الدين والدولة) ، بعد ان انتقل من المسيحية الى الاسلام : (من آيات النبى صلى الله عليه وسلم هذه الغلبــة التى احتج بها المسلمون كافة وقد كنت اقول مثل الذى قـــال غيرى من النصارى ، ان الغلبة امر مشترك فى الامم ، وما كان مشتركا فليس بآية من آيات النبوة ، حتى اذا افقت من سكرة التيه وهببت من سنة الحيرة وانجابت عنى فتنة التقليد علمت ان ذلك ليس كما قالوا ..) لم ؟ وما الفرق ؟

هنا يقارن ابن ربن بين غلبة محمد وقد بدأ فى غاية الضعف وانتهي الي غاية القوة داعيا الي كل فضيلة فى العقل والنفس والعمل مستصنعا اصحابا واعوانا يسيرون على طريقته ، ويستدل بهم على فضله ...

وبين غلبه الإسكندر ــ واردشير وبابك ــ مثلا ــ وغلبتهــم (لم تكن فى الله ولا للدعاء الى الله ولا الى انبيــــائه ، بل لطلب الغلبة والعز والسمعة وهم بين دهري وثنوي أو ــ وثنى ..) .

ثم يتساءل : من الذى اعانه على غلبته ؟ الله ؟ أم الشيطان ؟. من الواضح انه ليس من الشيطان لان معنى ذلك ان يعين الشيطان من يحاربه فكيف يكون شيطانا ؟ (ان من ظن بالشيطان ان يعين على اظهار مثل هذا الدين وتأييده فقد احسن فيه الظن وقال فيه الجميل وكذب ما قال الله وانبياؤه فيه) (١) .

٤ ــ تكاثر الادلة :

وفى هذا النطاق ــ المنطق العملى ــ يأتى مـــا نسميه مبدأ

---

(١) الدين والدولة ، ص ١٠٨ ــ ١١٣ .

(تكاثر الادلة) •• ذلك انه قد يحصل التصديق بأمور مجتمعة ولا يحصل بواحد منها على حده •

ومثال ذلك خبر الواحد : يبدأ العلم به ظنا ، ويتقوى بالتواتر الى ان يصير علما يقينيا فيستفاد من المجموع مالا يستفاد من كل واحد من افراد هذا المجموع على حدة •

والى هذا المبدأ اشار الامام الغزالى فى كتابه المنقذ من الضلال، واذا طبقنا هذا المبدأ كان علينا ان نضع امامنا كل دلائل صدق الرسول : ما يتعلق بشخصيته ، وما يتعلق بموضوع دعوته ، وما يتعلق بمعجزاته ايضا ، فيفيض عن هذا المجموع شعور يقينى لا يقاوم بصدقه •

وبهذا تصبح السيرة هى العمدة فى الاستدلال على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ••

وقد ذهب الى ذلك الشيخ محمد عبده حيث كان يرى أن ارباب الافكار العقلية اذا رأى احدهم خارقا قد اقترن بدعوى النبوة فلابد من ان ينظروا فى مقدمات كثيرة •• وهم عندئذ لا يكتفون بظهور المعجزة على يده ، بل لابد للواحد منهم (أن ينظر ان هذا الرجل هل خير فى ذاته او شرير ، فان كان شريرا فى ذاته يدعو الى مالا ينتج ، ولا غرض له الا الرئاسة ، وتقلب احوال الامم فى الشرور ، وسفك الدماء فهو الساحر الخبيث وان كان خيرا يدعو الى ما يعود على بنى نوعه بالصلاح والنجاح فهو الصادق النبى) (١) •

وقد ادرك المتكلمون هذا (المجموع) وان اخطأوا — فى رأيى فى جعلهم المعجزة هى العمدة •

---

(١) انظر حاشيته على شرح الدوانى على العقائد العضدية ، ص ١٥٠ — طبعة ١٣٢٢ هـ •

يقول سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد : (ماسبق ـــ اى المعجزات ـــ هو العمدة فى اثبات النبوة ، والزام الحجة على المجادل والمعاند ، وقد يذكر وجوه أخر تقوية له وتتميما وارشادا لطـــالب الحق وتعليما : الاول انه قد اجتمــع فيه من الاخلاق الحميـــدة والاوصاف الشريفة والسير المرضية والكمالات العلمية والعمليـــة والمحاسن البديعة الراجعة الى النفس والبدن والنسب والوطن مـــا يجزم العقل بأنه لا يجتمع الا لنبى .

والثانى : ان من نظر فيما اشتملت عليه شريعته ممـــا يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات السياسية والاداب وعلم ما فيها من دقائق الحكمة علم قطعا انها ليست إلا وضعا إلهيا روحيا سماويا والمبعوث بها ليس الا نبيا .

الثالث : انه انتصب فى ضعفه وفقره وقلة اعوانه وانصـــاره حربا لاهل الارض ، آحادهم واوسطهم واكاسرنهم وجبـــابرتهم فضلل آراءهم وسفه أحلامهم وابطل مللهم وأظهر دينه على الاديان وزاد على مر الأعصار والأزمان وانتشر فى الافاق والاقطار وشاع فى المشارق والمغارب من غير ان تقدر الاعداء ـــ مع كثرة عددهم وعدتهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم وفرط حميتهم وعصبيتهم وبذلهم غاية الوسع فى اطفاء انواره وطمس اثاره ـــ على اخماد شرارة من ناره ، فهل يكون ذلك الا بعون الهى ، وتأييد سماوى ..

الرابع : انه ظهر احوج ما كان الناس الى من يهدى الى الطريق المستقيم ويدعو الى الدين القويم ، وينتظم الامور ويضبط حـــال الجمهور لكونه زمان فترة من الرسل وتفرق للسبل ، وانحراف فى الملل .. واختلاف الدول ، واشتعال للضلال واشتغال بالمحـــال ،

فالعرب على عبادة الاوثان ووأد البنات والفرس على تعظيم النيران ووطء الامهات ، والترك على تخريب البلاد وتعذيب العباد والهند على عبادة البقر وسجود الحجر والشجر واليهود على الجحود ، والنصارى حيارى فيما ليس بوالد ولا مولود ، وهكذا سائر الفرق فى اودية الضلال وأخبية الخبال والخيال) (٢) •

ومع ذلك فنحن نرى ان الدلالات المتكاثرة تمثل ما هو فوق الحد الأدنى من الدلالة المطلوبة •

ان الحد الادنى موجود فى بداية الرسالة ، ونحن نجد هذا الحد الادنى فى : سيرة الرسول قبل الدعوة بصفة عامة •• وفى تقرير السيدة خديجة عنه عندما صدقته ، وفى كلام هرقل لابى سفيان ، وفى مقتطفات من استجابة السلف الاوائل ••

(٢) شرح المقاصد ج ٢ ، ص ١٨٨ .

٥ ـ المنطق العملى عند المسلمين الاوائل

هذا هو المنطق العملى الذى دل على صدقه عند اتباعه •• نجد امثلة له فيما يأتى :

بعد ان بدىء الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحى ورجع الى خديجة يرجف فؤاده ويقول زملونى واخبرها الخبر وقال : لقد خشيت على نفسى •• قالت له : كلا ، والله لا يخزيك الله ابدا •• لماذا ؟ •• قالت (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق) •

وفى خبر الجلندى ـ ملك عمان ـ لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام قال الجلندى : والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به ، ولا ينهى عن شىء الا كان اول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر،ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز الموعود • واشهد انه نبى) ••

وفى نطاق هذا المنطق العملى ايضا جاء ما رواه مسلم وغيره : ان ضمادا ـ وهو ابن ثعلبه من ازد شنوءة كان صديقا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ـ لما وفد على النبى قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له وان محمدا عبده ـ ورسوله ، فقال ضماد ، اعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك) ••

وفى هذا النطاق العملى ايضا المتأثر بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم جاء ما رواه الترمذى بسنده عن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول — الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جئتـــه لأنظر اليه ، فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) •

وفى هذا النطاق أيضا جاء ما راوه ابن سعيد — انظر شرح الشفاء جـ ٢ ص ٧١٠ وما بعدها — عن ابى رمثة التيمى ، (قال : اتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى فأريته ، فلما رأيته قلت : هذا نبى الله) •

وعندنا مثال من هرقل عندما بلغته الدعوى ، وأخذ يســأل عن محمد صلى الله عليه وسلم وفدا من العرب ، لم يكونوا قد اسلموا ، وعلى رأسهم ابو سفيان سأل أبا ســفيان الذى قال عن نفســه (فوالله لولا الحياء من ان يأثروا على كذبا لكذبت عليه) •

يقول هرقل (سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب •• وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها •• وسألتك : هل قال احد منكم هذا القول ؟ فذكرت ان لا فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتى بقول قيل قبله فذكرت ان لا •• قلت : لو كان من آبائه من ملك ، قات رجل يطلب ملك ابيه وســألتك هل كنتــم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا •• فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله •• وسألتك اشراف الناس — اتبعوه ام ضعفاؤهم ؟ فذكرت ان — ضعفاءه اتبعوه •• وهــم اتباع الرسل وسألتك ايزيدون أم ينقصون فذكرت انهــم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم وسألتك ايرتد احد سخطه ادينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا •• وكذلك الايمان حين تخالط بشــاشته القلوب وسألتك هل يغدر ، فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر ،

وسألتك بم يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فان كان ما تقوله حقا فسيملك موضع قدمى هاتين .. وقد كنت اعلم انه خارج ـ لم اكن اظن انه منكم فلو انى اعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه) . هذا مثال للبحث .. قائم على المنطق العملى .

٦ ــ نظرة المستشرقين :

وقد يهمس هامس ، او قد يصخب صاخب : وماذا عن الطعون التى وجهت الى شخصية (الرسـول صلى الله عليـه وسلم) من طائفة من المستشرقين واتباعهم ؟ والجواب على ذلك فى غاية اليسر : لأنا نقول : لقد تكفل المستشرقون بعضهم ببعض (١) ، فما من طعن وجه الى الرسول من احدهم الا وجاء الرد عليه مفحما قاطعـا من آخر ، حتى انه لم يبق من هذه الطعون بقيـة الا وقد اقتلعت من جذورها ، ولتذهب هذه الطعون علامة على اكذوبه البحث عنـد اصحابها ، وسبة فى تاريخ الاستشراق الموتور ..

ويكفى ان نشير هنا الى ما ذكره المستشرق هنرى دكاسترو عن تاريخ التعصب لدى المستشرقين ، وانهم لم يبدأوا فى البحث عن الاسلام بغير تعصب الا فى زماننا هذا فى القرن التاسع عشر على حد تعبيره ، ثم قوله (واول ما دار البحث فيه مسألة صدق النبى فى رسالته وقد قلنا ان ذلك متفق عليه بين المستشرقين والمتكلمين على التقريب) .. (٢) .

ونشير ايضا الى ما قاله اللورد هيدلى (نحن نعتبر ان نبى بلاد العرب الكريم ذو اخلاق متينة .. ولم ير فيها اقل نقص ابدا ، وبما اننا فى احتياج الى نموذج كامل يفى بحاجتنـا فى خطوات الحياة ، فحياة النبى المقدس تسد تلك الحاجة) (٣) .

---

(١) انظر ما كتبه الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه اوروبا والاسلام وبخاصة ما جاء تحت عنوان (تخبط المستشرقين) .

(٢) خواطر وسوانح للكونت هنرى دى كاسترو ، ترجمة احمـد فتحى زغلول باشا نشرة دار الفرجانى ص ٢٠ .

(٣) أوروبا والاسلام للدكتور عبد الحليم محمود ـــ طبعة الاهرام عام ١٩٧٣ ، ص ٦٢ .

كما نشير الى ما كتبه توماس كارليل فى كتابه الشهير «الابطال» ـ عن محمد صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قوله (لقد اصبح من العار على اى فرد متمدين من ابناء هذا العصر ان يصغى الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب وان محمدا خداع مزور ، وآن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى اداها الرسول ما زالت السراج المنير منذ اثنى عشر قرنا)(١)٠

واذا كان المستشرق المعاصر مونتجو مرى وات يعترف بان العصور الوسطى شوهت تعاليم الاسلام فى نقاط اربعة رئيسية منها ما يتعلق بشخصية محمد ويقرر ان الدراسات الموضوعية الحديثة قد اختلفت فى هذه النقاط مع صورة الاسلام فى العصور الوسطى الاوروبية ، فانه ليذهب الى ابعد من ذلك حين يقول (اننا فى عالم اليوم وبفضل ما اسهم به فرويد من افكار نعلم جيدا ان الظلمة التى ينسبها المرء الى اعدائه ما هى الا اسقاط للظلمة الكامنة فيه هو والتى لا يريد الاعتراف بها ، وعلى ذلك فانه ينبغى علينا ان ـ ننظر الى الصورة الشائهة للاسلام باعتبارها اسقاطا لما اكتنف عقول الاوروبين من جهالة) ٠٠ (وانها ترمز للشرور القائمة فى اوروبا ذاتها) (٢) ٠

---

(١) الابطال : ترجمة محمد السباعى نشر المكتبة التجارية جـ ١ ص ٩٦

(٢) فضل الاسلام على الحضارة الغربية لمونتجمرى وات ترجمة حسين احمد امين ـ طبعة دار الشروق عام ١٩٨٣ ص ١٠٠ ، ص ١١٢ .

اعــلان فلســفة التسليم

وهنا نقرر ان الفكر الاسلامى يمكنه ان يعلن مـــا يمكن ان يسمى : فلسفة التسليم • ذلك ان المتعرض للدعوة بعد ان يتعرض للانذار : فيدفعه الانذار دون ابطاء او تعويق لمنطق الانذار نفســه الى التعرض لعوامل تصديق الرسول ــ كما سقنا على النحو السابق يجد نفسه مضطرا عمليا الى التسليم ••

فينطق بالشهادتين كما طلبهما الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ (اشهد ان لا اله الا الله) •• (واشهد ان محمدا رسول الله) •• فيكون مسلما وهذا هو التسليم الذى يدعو الاسلام اليه الانسان •

يقول تعالى (وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) •• ٥٤ الزمر •

ويقول تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ٦٥ النساء•

ويقول تعالى (بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ١١٢ •• البقرة •

ويقول تعالى (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) ١٤٠ الجن •

ويقول تعالى (اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) ١٣١ البقرة ••

ويقول تعـــالى (افغير دين الله يبغون وله اســـلم من فى السموات والارض طوعاوكرها واليه يرجعون) ٨٣ آل عمران •

ويقول تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) ١٩ آل عمران .

ويقول تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقي والى الله عاقبة الامور) ٣٣ سورة لقمان .

ويقول تعالى (قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين ٧١ — الانعام .

والمسلم بهذا : يختار الكائن الذى يسلم نفسه له وهو (الله) بينما غيره (يسلم) نفسه — دون اى اختلاف فى المنهج — لغير الله .

يسلم الفليلسوف نفسه (للعقل) لا لبرهان وانما للضرورة العملية ويسلم المادى نفسه (للطبيعة) لا لبرهان او تجربة وانما للضرورة العملية .

ويسلم اللا أدرى ، نفسه لعمل اعمى ، واقعا بذلك فى اختيار لا مفر منه بحكم الضرورة العملية .

ويصبح موقف المسلم بين هؤلاء هو الموقف الوحيد الذى تكون فيه النجاة فى الدنيا والآخرة ، وهو ايضا الموقف الوحيد الذى يسترجع به الثقة فى (العقل) و (التجربة) و (الاشياء) جميعا .

ومن هنا يتبين لنا ان الضرورات العملية ليست متساوية الدرجة او القيمة . ان هناك انواعا من الايمان لا مبرر لواحد منها الا فى الضرورة العملية فهى الاساس الذى يقوم عليه الايمان العقلى ، او العقل .. وهى الاساس الذى يقوم عليه الايمان العلمى — او العلم .

وهى الاساس الذى يقوم عليه الايمان العملى — او العمل .

وهى الاساس الذى يقوم عليه الايمان الدينى ــ او الدين •

ومن ثم فأنه لا يجوز لنوع من انواع الايمـــان هذه ان ينكر على الآخر أساس وجوده طالما يقوم على نفس الاساس الذى يقوم عليه صاحبه ــ وهو (الضرورة العملية) •

وتتميز بعد ذلك الضرورة العملية المتمثلة فى الايمـــان بالله ورسوله بأنها هى وحدها التى تغطى جانب الحياة فى الدنيا والاخرة كما تتميز بأنها وحدها التى تضمن فى اطارها ضرورات الايمان بالعقل والذات والوجود وضرورات الايمان بالنظر ، والعلم والعمل •

والمسلم بذلك التسليم يضع قدمـــه على اول الطريق ، طريق طريق تلقى المعرفة الالهية ••

١ ــ من مصدرها الذى هو سبحانه وتعالى ••

٢ ــ الى موردها الذى هو الانسان بقواه المختلفة ••

٣ ــ صاعدا بذلك من الظن الى اليقين •

٤ ــ وفقا لقوله تعالى ــ من غير تأويل بعيد : ــ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ٩٩ الحجر • صدق الله العظيم •

خاتمـــــة

واخيرا •• ونتيجة لما تقدم فاننا نقرر امورا على جانب كبير من الأهمية •• تلك هى ان الطريق المعتمدة للوصول الى معرفة صدق الرسول تقوم على الفلسفة الاسلامية الوحيدة التى يسمح بهـــا الاسلام أو يشجعها ، وهى ما نسميه « الفلسفة العمليـــة » وتلك طائفة من مبادئها نجدها فى علم اصول الفقه على الخصوص •

وان العقل الذى يحترمه الاسلام هو مـــا يمكن ان نسميه « العقل العملى » الذى عرفه علماء الكلام انفسهم بأنه (قوة التصرف فى الموضوعات واستنباط الصناعات وتمييز المصالح من المفاســـد لانتظام المعاش والمعاد •) •

وان (الإعتقادات) وفقا للمنهج الاسلامي هى عمل ، او اصل لعمل او ثمرة لعمل ، منذ اللحظة الاولى التى يعلن فيها الاسلام عن نفسه وأن « الانذار » الذى اطرد مجيئـه واستفاض فى رسالات الرسل لم يكن محض تهديد ، أو نفثة غضب على العصاة •

وانما هو باب رحمة فتح لهم قبل أن تقع الواقعة ، وهى الواقعة التى لا ينجو فيها إلا من اتجه إلى طريق النجاة ، وأن لهذا الانذار منطقه وعناصره وشروطه وهى تنتسب جميعا الى الفلسفة العملية للإسلام ويمكن أن نطلق عليها فلسفة الانذار تفريعا على (فلســفة الإسلام : العملية) •

وان هذا الاتجاه العملى لم يكن مجرد فصل اول من فصـــول الدعوة الاسلامية قضت به ضرورة موقوته ، سوف تأتى من بعده

فصول وفصول ، تتطور بتطور الافراد والجماعات •• وانما هـــو اتجاه ذاتي فى صلب الرسالة الاسلامية ، واى تعديل فيه أو اضافة اليه تكون زائفة او مؤقتة او مضللة ••

ويبقى للاسلام روحه الاصلية وفلسفته الخاصة ، التى تتمثل فى شخصية الرسول وسيرته صلى الله عليه وسلم لتظهر اعمـاق الاسلام ، ولتلتقى فى نفس الوقت مع اعماق الانسان ، فى أرقى العصور •

وبالله التوفيق

كتب المؤلف

١ ــ نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية .
نشر مجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٧١ .

٢ ــ عوامل واهداف نشأة علم الكلام فى الاسلام .
نشر مجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٧٢ .

٣ ــ معالم شخصية المسلم .
نشر المكتبة العصرية بيروت عام ١٩٧٨ .

٤ ــ الأسس المنهجية لبناء العقيدة الاسلامية .
نشر دار الفكر العربى بالقاهرة عام ١٩٧٨ .

٥ ــ مواجهة الالحاد المعاصر أو عقائد العلم .
نشر مجمع البحوث الاسلامية عام ١٩٨٠ .

٦ ــ الاسلام واتجاهات الفكر المعاصر .
نشر دار الاعتصام بالقاهرة عام ١٩٨٠ .

٧ ــ الاسلام وفلسفة التسليم .
طبعة مكتبة المكتبة بالامارات عام ١٩٨٠ .

٨ ــ العقيدة الاسلامية بين الفلسفة والعلم .
طبعة مكتبة المكتبة بالامارات عام ١٩٨٢ .

٩ ــ اساسيات العقيدة الاسلامية .
طبعة مكتبة المكتبة بالامارات عام ١٩٨٣ .

١٠ ــ اصول التصوف الاسلامى .
طبعة الجبلاوى عام ١٩٨٣ .

١١ ــ الاسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة .
نشر دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٤ .

تحت الطبع :

١٢ ــ على هامش الحديث النبوى الشريف .
نشر مجمع البحوث الاسلامية .

تم بحمد الله وتوفيقه ؟

فهــــرس الكتاب

	ص
المقصود بالفلسفة الاسلامية	٥
الفكر الاسلامى بين الفلسفة والكتاب والسنة	٦
فشل الفلسفة النظرية	١٠
فلسفة الضرورة العملية	١٠
الإنذار فى سير الأنبياء	١٤
الإنذار فى سيرة محمد ﷺ	٢٠
عناصر المنطق العملى فى الإنذار	٢٣
ازدواجية الإنذار	٢٧
منطق الإنذار بواقعة مستقبلية	٢٩
بين الخبر الإنذارى والخبر التبشيرى	٣٥
منطق الإنذار بين الحقيقة الواقعية والحقيقة الأخلاقية	٣٨
منطق الإنذار فى قضية التوحيد	٤٢
منطق الإنذار فى قضية التشريع	٤٦
بين المنطق العملى والنظرى فى سيرة موسى عليه السلام	٤٧
اليقين فى المنطق العملى	٥١
الشروط العملية للتفرقة بين انذار وانذار	٥٥
القاعدة الأولى فى طبيعة الإنذار	٥٥
القاعدة الثانية فى مصدر الإنذار	٥٧
القاعدة الثالثة فى مورد الإنذار	٥٨
القاعدة الرابعة فى حامل الإنذار	٦٣
١ — سيرته	٦٣
٢ — سيرة أصحابه المقربين	٦٦
٣ — انتصاراته	٦٧
٤ — تكاثر الأدلة	٦٨
٥ — المنطق العملى عند المسلمين الأوائل	٧٢
٦ — نظرة المستشرقين	٧٥
اعلان فلسفة التسليم	٧٧
خاتمة	٨٠

الطبعة الأولى

عام ١٩٨٤